الإدارة الأمريكية للأزمة العراقية

تمهيد:

- أولا : سيطرة اليمين المتطرف على السياسة الأمريكية.
- ثانيا : المراحل الرئيسية لإدارة الأزمة العراقية وتهيئة المناخ الدولي.
- ثالثا : محددات الأزمة (وجهة النظر الأمريكية).
- رابعا : أهداف ومواقف الأطراف المؤيدة والمعارضة للحرب.
- خامسا : الأسلوب الجاكسوني في إدارة الأزمة.

• أعد هذا الفصل دكتور / محمد جمال مظلوم الخبير الاستراتيجي
دكتور / عبد الغفار عفيفي الدويك الباحث في الشئون الاستراتيجية

تمهيد:

كان للمتغيرات التي حدثت مع بداية التسعينيات خاصة تفكك الاتحاد السوفيتي وبداية فترة أحادية القوة وسعى الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة على العالم مستغلة كافة الظروف والمتغيرات الإقليمية لتحقيق أهدافها ومصالحها أثر كبير في تحقيق هذه الأهداف، وقد تحقق لها ذلك في ظل ضعف القوة الأخرى والتي توقع الكثيرون بزوغها لملء فراغ تفكك الاتحاد السوفيتي إلا أن هذه القوى سواء الاتحاد الأوروبي أو الصين أو اليابان أو روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي السابق لم تحقق أي مكانة للمنافسة في ظل تنامي القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية خاصة في ظل تزايد اعتماداتها العسكرية حتى أن ميزانيتها للعام الحالي تعدت ٤٠٠ مليار دولار لتقترب من نصف الإنفاق العسكري في العالم أجمع.

من هذا المنطلق تحاول الولايات المتحدة الأمريكية استغلال المشكلات والصراعات الدائرة في العالم ومشاركتها بهدف دعاوى الديمقراطية وحقوق الإنسان تارة وللحد من التسلح وامتلاك أسلحة التدمير الشامل تارة أخرى بصفتها شرطي العالم مستغلة الصمت الدولي وانطواء القوى الأخرى ساعية لتحقيق مصالحها واستراتيجياتها سواء في الشرق الأقصى أو وسط آسيا حتى منطقة الشرق الأوسط ، واستغلت الخلافات العربية والضعف العربي لإحكام قبضتها على المنطقة تارة بدعوى تحقيق الديمقراطية وحقوق الإنسان أو بدعوى إيواء عناصر من القاعدة وقد ساعدها على ذلك ((أحداث ١١ سبتمبر)) واتهام عرب وإسلاميين بتدبير تفجيرات برجي التجارة الخارجية وحملتها على

الإرهـــاب والتـــي بدأتها بأفغانستان في السابع من أكتوبر (٢٠٠١) في أقل من شهر من أحداث سبتمبر عام (٢٠٠١).

وللحديـــث عن الإدارة الأمريكية للأزمة العراقية وإصرارها على ضرب العراق تحت أي ظرف من الظروف بالرغم من عدم التأكد من امتلاكه لأسلحة التدمير الشامل في الوقت الذي أكدت كوريا الشمالية امتلاكها هذه الأسلحة ومع ذلـــك تتعامل معها بالوسائل الدبلوماسية نعود لأسلوب الإدارة الأمريكية لاتخاذ القرارات السياسية.

تأخذ النخب الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية عادة بالنهج البراجماتي عند تصديها لقضايا السياسية الخارجية ولما كانت البراجماتية تفترض أن سياق الأحـــداث يحمل في طياته الحلول اللازمة لكل مشكلة وأن كل مشكلة لابد وأن تحـــل إذا ما تم التصدي لها بقوة كافية كما أن تأخير حل المشاكل سيترتب عليه مضـــاعفات تحول دون حلها مستقبلاً غاية الأمر أن الحل المتأخر لهذه المشاكل يتطلب جهداً مضاعفاً.

لقد كان تعليق روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكي عن إدارة الأزمات بقولة في بداية الستينيات "لم يعد هناك مجال بعد الآن للحديث عن الاستراتيجية وإنمـــا عـــن إدارة الأزمات فقط" وكان هذا القول هو الذي حدد فيه رؤيته لدور الولايـــات المـــتحدة الأمريكـــية وأســـلوبها في معالجة المشاكل الدولية مستقبلاً وعزمها على الاضطلاع بدور رئيسي في هذا الشأن كأول اعتراف صريح من أحـــد صناع القرار الأمريكي بنوايا بلاده في هذا الشأن والذي ظل خافياً لفترة خلال عهد الرؤساء السابقين.

هذا وقد كان الدور الأمريكي يتزايد طبقاً لوجهة النظر الأمريكية في فشل الـــنظام الدولـــي القائم في تسوية الصراعات طبقاً للمصالح الأمريكية منذ عام (١٩٦٢) ومـــن أجـــل ذلك تزايد الدور الأمريكي كعامل دائم لحل الصراعات الدولية.

من هذا المنطلق نحاول الغوص قليلاً في أسلوب إدارة الأزمة حيث تحاول الولايـــات المتحدة الأمريكية انتهاج سياسة إدارة المصالح بالأزمات أي ما يعنى خلـــق الأزمـــة وإدارتهـــا بما يحقق المصالح الأمريكية وهنا يمكن حصر أهم المصـــالح الأمريكـــية في كلتا الدولتين العراق وكوريا الشمالية وهي بالأساس اســـتمرار الـــتواجد في هذه المناطق تجاه الرفض الجامح من كافة الدول بهدف الاســـتقلال ومعارضة التواجد الأجنبي في هذه الدول في الوقت الذي تهدف فيه الولايـــات المتحدة للسيطرة على الموارد في هذه الدول وحالة العراق خير دليل على ذلك.

- وســـوف نتعرف على عقل الأزمة العراقية الأمريكية من خلال التعرف علـــى بعـــض الملامـــح الشخصية لمجموعة الإدارة في البيت الأبيض.. والمراكز البحثية المعاونة لها: فحكومة الحرب الأمريكية تتكون من الرأس الكبير: جورج دبليو بوش (بوش الابن).

- ديـــك تشـــيني نائـــب الرئـــيس الأمريكي، كولن باول وزير الخارجية الأمريكـــية، دونـــالد رامســـفيلد وزيـــر الدفاع، جورج تينت مدير وكالة المخابرات المركزية، بول ولفويتز الرجل الثاني في البنتاجون.

- الجـــنرال ريتشـــارد مايرز رئيس أركان الجيوش الأمريكية، والجنرال تومـــي فـــرانكس القـــائد العـــام للقـــوات الأمريكـــية في الخليج، وأخيراً كوندليزارايس مستشارة البيت الأبيض لشئون الأمن القومي.

أولاً: سيطرة اليمين المتطرف على السياسة الأمريكية (عقل الأزمة)

يـــدور الحديث كله في الولايات المتحدة الأمريكية عن الحرب ضد العراق فذلك ما كان ينبغي أن يفعلوه قبل عشرة أعوام ماضية ويتردد بأن الحرب على الإرهـــاب ماضية تماماً وها قد تمكنا من تحقيق درجة جيدة من النجاح ولسوف نكســـب الجولـــة فـــي نهاية المطاف. الجميع لا يساورهم أدنى شك بأن اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي يمسك بزمام الأمور الآن.

يـتألف شـعب الولايات المتحدة في مجمله من المهاجرين وهم أناس لجأ أسلافهم إلى هذه البلاد فراراً من أنظمة الحكم الديكتاتورية في أماكن أخرى من المعمـورة فحطوا على شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية طلباً للأمن والحرية والسـلامة من الاضطهاد والعنف وحينما انهار برجا مركز التجارة العالمي في نـيويورك فقد الأمريكان شعورهم بالأمن وانتابهم حس بأن السلامة التي طالما نعموا بها باتت مهددة وكأن هذا الحادث تكفل باستثارة مخاوف اندثرت منذ وقت طويل في الأعماق تحت سطح الذهنية الأمريكية.

ثـم هـناك ذلك الجرح المزمن في الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه كلما كان اليهود عرضة للخطر في إسرائيل وخاصة بسـبب كـابوس التفجـيرات الاستشهادية (وهو الأمر الذي ترتعد له فرائص الأمريكيين بحـق) تتوجه الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية نحو الإدارة الأمريكية مطالبة بمنح المزيد من المساعدة للحكومة الإسرائيلية وبالطبع نحن هنا نتحدث عن ما يتراوح بين ستة وسبعة ملايين يهودي يشكلون مجتمعين أكبر قوة مؤثرة على القرار السياسي داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

وهذا يوضح التغلغل اليهودي في المجتمع الأمريكي وسيطرة اليمين المتشدد على السياسة الأمريكية.

عندما نلقي نظرة على الكونغرس نلمس دلائل اللوبي الصهيوني أو اليمين المسيحي أو التجمع العسكري الصناعي، ثلاث أقليات متطرفة بالغة النفوذ يجمع بينها العداء للعالم العربي وقناعة خرقاء بأنهم من أنصار الملائكة. وأمسى لكل واحـدة مـن المقاطعات الخمسين في هذا البلد نشاطها الدفاعي بحيث أضحت الحـرب مسـألة وظائف وليست مسألة أمن. وقد يتساءل المرء مستغرباً كيف لحـرب باهظـة الكلفة أن تؤمن حلولاً للركود الاقتصادي مثلاً والإفلاس لنظام الضـمان الاجتماعي، والدين المحلي المتزايد، والفشل الذريع الملحوظ في نظام التربـية العام في هذا البلد؟ طبعاً لا تأتي الحرب بأي فائدة في هذا المجال على

الإطـــلاق، وعلى رغم ذلك فإن الفريق المؤيد للحرب مضي قدماً نحوها بخطى متسارعة لا تقف في طريقها أية عثرة. وفسرت التظاهرات المكثفة كمجرد شكل آخـــر من أشكال عمل العصابات، فيما تحولت الأكاذيب المتميزة بدرجة الخبث فيها حقائق مطلقة من دون توجيه أي انتقاد أو رفع أي اعتراض.

وهكـــذا نشهد نية متعمدة في خداع الشعب الأمريكي، فقد شوهت مصالحه وبـــترت مـــن عقالها، وطمست الأغراض الحقيقية لحرب بوش الابن الخاصة طمســـاً يلامس حد الغطرسة. لننس أن ولفويتزوفايث وبيرل – وكلهم مسؤولون غير منتخبين يعملون لدى دونالد رامسفيلد غير المنتخب بدوره في البنتاجون – دافعوا علناً عن ضم إسرائيل للضفة الغربية وغزة وإيقاف "عملية أوسلو" ودعوا للحرب ضد العراق (وإيران لا حقا)، وبناء المزيد من المستوطنات الإسرائيلية (أثـــناء حملـــة نتانـــياهو الـــناجحة لرئاسة الوزراء في العام ١٩٩٦) بصفتهم مستشارين لديه، وبأن هذا الأمر تحول اليوم عرفاً أميركياً.

إنهـــا ديموقراطـــية مخدوعة، ولكنها في الواقع مهانة بل داستها مجموعة صـــغيرة مـــن الـــرجال الذين بكل بساطة استولوا على مقاليد الأمور في هذه الجمهوريـــة كما لو لم يكن من مسألة أكثر إلحاحا، من بلد عربي؟ من يدير دفة الولايـــات المتحدة الأمريكية، بما أنه بات واضحا أن الشعب غير ممثل في هذه الحرب التي تستعد الإدارة لشنها على عالم يرزح بما يكفيه من المآسي والفقر، كمـــا أن الإعـــلام يواظـــب علـــى خـــداع الشـــعب الأمريكي، أما بالنسبة إلى الديماجوجييـــن ورجال الفكر الخاضعين الذين يرون الرعب من منظار خيالهم الجـــامح فمن سمح لهم بالتآمر بهدف إلحاق المآسي بملايين اقتصرت جريمتهم على أنهم مسلمون أو عرب؟

بوش الابن:

لا يقصد المرء المبالغة إذا زعم أن جورج بوش قد تجاوز برؤاه المحافظة ســـلفه رونالد ريجان وحاز بامتياز لقب زعيم الأصولية المسيحية في الولايات

المستحدة لكن بوش نفسه لم يكن أصوليا حتى عام (١٩٨٦) عندما زعم أنه تصالح مع معتقداته الدينية بعد حياة مليئة بالإثارة.

وقد جاءت توبته هذه عندما تعرف إلى القس بيللي جراهام الذي استذكره بوش قائلاً ((لقد زرع جراهام في روحي بذرة ما زالت تنمو حتى اليوم، لقد أرشدني إلى الطريق حيث بدأت أمشي وكانت تلك بداية أعظم تغيير في حياتي)).

وخلال فترة السنوات الست التي قضاها حاكما لتكساس راح بوش يراقب باهتمام وغبطة تزايد نفوذ اليمين في الحياة السياسية الأمريكية ورأى فيه أمله في الوصول إلى الرئاسة. ولم يدع بوش مناسبة تمر دون أن يبرهن لحلفائه الجدد أنه خير من يستطيع تمثيلهم وخدمة مصالحهم حتى أنه وخلال حملته الانتخابية في ولاية آيوا قام بتسمية السيد المسيح فيلسوفه المفضل، وإمعاناً في إرضائهم قرر اختيار "ديك تشيني" الذي يعتبر من ثقاة اليمين الديني نائبا له. بالمقابل وعد اليمين المسيحي بوش بتقديم الدعم الذي ضنوا به على السيناتور "بوب دول" عندما قرر تحدي الرئيس كلينتون في انتخابات (١٩٩٦) لأنه رفض إلزام نفسه ببعض مطالبهم كما نصروه على منافسه الجمهوري " جون ماكين " الذي لم يكن على يمينيته متديناً بدرجة كافية بالنسبة إليهم.

لا غرو إذاً أن زعماء اليمين المسيحي اعتبروا وصول بوش إلى البيت الأبيض انتصاراً شخصياً لهم حتى أن رالف ريد اعتبر نجاح بوش في الانتخابات أول دخول كنسي إلى البيت الأبيض منذ بنائه مطلع القرن التاسع عشر. وقد أبرزت وسائل الإعلام الأمريكية تصريحاته التي قال فيها ((لقد تمت كلمة الله على أمريكا، لن نلقي حجارة على البيت (الأبيض) بعد اليوم لأننا نحن من يسكنه. ندعو الله أن يحفظه (بوش) ذخرا لهذا البلد وأن يصونه من شر الإرهابيين الكفار))، وبالطبع كان على بوش أن يرد الجميل لمن حمله إلى سدنة الحكم وكان كريما لدرجة أخجلت حلفاءه الأصوليين حيث قام بإسناد معظم المناصب في إدارته إلى مجموعة من تحالف اليمين المسيحي والمحافظين الجدد

ومعظـــم هـــؤلاء الأخيريـــن من يهود أمريكا العلمانيين، وقد جمعهم مع اليمين المسيحي تأييدهم.

حكومة الحرب الأمريكية

- ديـــك تشـــيني نائب الرئيس الأمريكي (٦٢ سنة)، رجل الظل ويعتبر أحيانا الـــرأس المفكر للبيت الأبيض وهو يلعب دورا محوريا في الإدارة الأمريكية التـــي يمـــثل إلى جانب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أبرز صقورها. ودعا تشيني منذ البداية إلى تدخل عسكري وقائي ضد العراق، ولو من دون موافقة الأمـــم المتحدة. وكان وزيراً للدفاع إبان حرب الخليج في عهد الرئيس بوش الأب. ويعرف بأنه منظم ماهر، مارس مهمات في الإدارة الأمريكية في ظل خمـــس ولايـــات رئاســـية متتالية، إذ كان سكرتيراً عاما للبيت الأبيض أيام جـــيرالد فـــورد، ثم برلمانيا، فوزيراً، قبل أن يصبح رجل أعمال. وهو من المقربين الموالين لعائلة بوش، نقطة ضعفه مشكلات صحية في القلب.

- كولـــن باول، وزير الخارجية (٦٥ سنة)، أيضا من قدامى فريق بوش الأب. وهـــو جـــنرال في الجيش كان رئيساً لأركان القوات الأمريكية خلال حرب الخليج. ويحظى بكثير من الإعجاب لدى الأمريكيين، كما أنه معروف كأحد المعتدلين في الإدارة، وأقنع بوش في الخريف بالسعي إلى دعم الأمم المتحدة قبل أي تحرك عسكري ضد العراق.

- دونـــالد رامســـفيلد، وزير الدفاع (٧٠ سنة)، يعتبر من المتشددين والمؤيدين للحـــرب علـــى العراق. وهو يتميز بشخصية قوية توحي بالسلطة والنفوذ. ورامسفيلد شخص إعلامي من الطراز الأول، ويتمتع بطاقة هائلة وكثير من الاندفـــاع والحماسة. وهو من صقور الإدارة الأمريكية، دعا منذ البداية إلى توجـــيه ضـــربة وقائية لبغداد. ورامسفيلد صاحب لسان حاد، يتكلم بصراحة مطلقة، وهو الذي اتهم فرنسا وألمانيا بأنهما تمثلان ((أوروبا القديمة)) معتبرا

أن نقطة الارتكاز في أوروبا تنتقل شرقاً، حيث دول الكتلة الشيوعية السابقة أكثر تأييداً لخطط واشنطن الحربية.

- وتولى رامسفيلد وزارة الدفاع للمرة الأولى بين ١٩٧٥ و١٩٧٧ في عهد الرئيس فورد. كما كان مندوبا أمريكياً إلى الحلف الأطلسي، عضواً في الكونجرس.

- ورامسفيلد ثري صاحب ملايين جمعها في مجال الأعمال. وأصبح أكبر وزراء الدفاع سناً في تاريخ الولايات المتحدة، بعدما كان أصغرهم قبل ربع قرن في عهد الرئيس جيرالد فورد (١٩٧٤ – ١٩٧٧). وتنبأ رامسفيلد بمتاعب قبل ١١ أيلول، معبراً عن تخوفه من تعرض الولايات المتحدة لهجمات يشنها ((إرهابيون)) أو ((دول مارقة)) ولرامسفيلد ظهور إعلامي كبير، حتى أنه أضحى من نجوم محطات التلفزيون الأمريكية. لكن بعض الصحفيين الأمريكيين ورئيس الوزراء الأسباني خوسيه ماريا أثنار، نصحاه أخيرا بأن، ((يقلل كلامه)) ويتجنب صب الزيت على النار، بعدما أثارت تصريحاته عن ((أوروبا القديمة)) الاستنكار في ألمانيا وفرنسا.

- وينتقد كثيرون من العسكريين الأمريكيين – في الأحاديث الخاصة – تعجرف رامسفيلد ويأخذون عليه تدخله أكثر مما ينبغي في المجالات الاستراتيجية والتكتيكية غير آبه بآراء بعض الجنرالات.

- والتقى رامسفيلد بصدام حسين في (١٩٨٣)، بصفته مبعوثاً خاصاً للرئيس السابق رونالد ريجان، في وقت كان العراق يحظى بدعم واشنطن ضد إيران.

- جورج تينيت مدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) (٥٠ سنة)، هو العضو الوحيد في فريق بوش الذي كان من عناصر إدارة بيل كلينتون. وتينيت من قدامى أجهزة الاستخبارات الأمريكية، عين على رأس الوكالة في مارس ١٩٩٧، ثم مدد له بوش في منصبه. تعرض لانتقادات كثيرة بعد ١١

سبتمبر، وأشارت أصابع الاتهام إلى الاستخبارات الأمريكية آخذة عليها فشلها في استباق الاعتداءات.

- بول ولفويتز، الرجل الثاني في البنتاجون (٥٩ سنة)، والساعد اليمين لرامسفيلد وأحد كبار صقور الإدارة الأمريكية. ويقيم ولفويتز - المنحدر من عائلة من المهاجرين اليهود البولنديين - علاقة قوية مع إسرائيل، حيث يحظى بتقدير كبير في الأوساط اليمينية. وهذا المسئول الشديد التشبث والحدة، تبنى إلى جانب رامسفيلد وتشيني الدعوة إلى حرب وقائية ضد العراق لإطاحة صدام.

ورأس هذا الأستاذ الجامعي خلال مساره السياسي إدارة شرق آسيا والمحيط الهادي في الخارجية الأمريكية كما كان سفيراً لدى إندونيسيا، وعين في عهد بوش الأب نائباً لوزير الدفاع.

- ولفويتز هو الشخصية الأولى التي تتبادر إلى الأذهان، لدى التحدث عن دعاة حرب أميركيين لإطاحة صدام. ويعود موقفه من العراق إلى (١٩٧٩)، حين قدم دراسة اعتبر فيها أن العراق سيمثل في المستقبل ((تهديداً للشرق الأوسط وللمصالح الأمريكية)). وفي فبراير (١٩٩١) حين كان من كبار البنتاغون، أعرب ولفويتز علناً عن أسفه لعدول الرئيس جورج بوش الأب عن الزحف إلى بغداد. وكان يؤيد القضاء كلياً على الحرس الجمهوري العراقي وفرض شروط أكثر تشدداً لوقف النار. ويقال إن بوش يرى هذا المثقف المختلف اختلافاً كاملاً عنه، مثيراً للاهتمام ومغايراً.

- ووصفه الكاتب بيل كلير بأنه ((متفائل فيما يتعلق بقدرة أمريكا على بناء عالم أفضل))، خلافا لغيره من ((المحافظين الجدد)) المتشائمين بمستقبل العالم.

- كوندليزا رايس، مستشارة البيت الأبيض لشؤون الأمن القومي (٤٨ سنة). أستاذة جامعية سابقا مقربة من الرئيس بوش، وهي أول امرأة تتولى رئاسة مجلس الأمن القومي، واختصاصية في شؤون روسيا وفي مسألة مراقبة

الأسـلحة، وعملت في مجلس الأمن القومي بين ١٩٨٩ و١٩٩١ أيام جورج بوش الأب.

- الجـنرال ريتشارد مايرز، رئيس أركان الجيوش الأمريكية (٦٠ سنة)، وأول جـنرال مـن سلاح الجو يعين في هذا المنصب. وهو متخصص في الدفاع الجوي، والمستشار العسكري الرئيسي لجورج بوش.
- الجـنرال تومي فرانكس، القائد العام للقوات الأمريكية في الخليج (٥٧ سنة)، وهـو تـابع مباشرة لوزير الدفاع والرئيس ويتولى المهمات التي كلف بها الجـنرال نورمـان شـوارتزكوف خلال حرب الخليج عام (١٩٩١). وهو صاحب شخصية ودودة، لكنه يميل إلى التحفظ وقاد فرانكس نهاية (٢٠٠١) الحملة العسكرية في أفغانستان، وهو من قدامى مقاتلي حرب فيتنام وأصيب ثلاث مرات.

أهم المراكز البحثية الأمريكية: (اليمينية)

إلـى جانـب هذه الشخصيات الرسمية يوجد مجموعة من المراكز البحثية الأمريكية الهامة التي تشارك في وضع القرار بشكل مباشر ومن أهمها الجمعية الفيدرالـية، ومؤسسـة هيراتـيج، ومركز السياسة الأمنية، ومؤسسة أمريكان انـتربريزر ومؤسسـة كـاتو، ومؤسسة هدسون، ومؤسسة أمريكيون من أجل الإصلاح الضريبي.

ومراكز البحث الأمريكية التي كان أهمها:

الجمعـية الفيدرالية (Federalist Society): وهو ائتلاف يضم مجموعة مـن المحامين وطلاب القانون المحافظين تأسست في مطلع الثمانينات وانحصر اهـتمامها بنشـر الأيديولوجـية اليمينية في مجالي القانون الدستوري والحقول المدنية.

وقـد أمدت هذه الجمعية إدارة بوش بمعظم صناع القرار في حقلي القانون والتشـريع ومـن رموزهـا في الإدارة وزير العدل جون أشكروفت الذي لمع كسـيناتور وحـاكم لولايـة ميسوري وكان المرشح المفضل للجماعات الدينية اليمينية لانتخابات الرئاسة لكنه اعتذر عندما علم بترشيح جورج بوش.

ويسيطر أشكروفت مع نوابه ومساعديه الذين استقدمهم جميعا من الجمعية الفيدرالـية على جميع نواحي الحياة القانونية والتشريعية في الولايات المتحدة. ومـن رموز الجمعية أيضا المحامي العام تيودور أولسون الذي عمل في إدارة ريجـان ومـثله في فضيحة إيران جيت كما مثل بوش في المحكمة الدستورية العلـيا خلال النزاع على فرز الأصوات في ولاية فلوريدا وكان شريكاً للمحقق المسـتقل بنث ستار في فضيحة مونيكا لوينسكي ومستشارا لفريق المحامين في قضـية باولا جونز ومحامي الادعاء الشخصي ضد كلينتون في فضيحة وايت ووتـر المـتعلقة بشراء أراضي في ولاية تكساس. وينحدر من الجمعية أيضا وزيرة البيئة جال نورتون المعروفة بسجلها البيئي السيئ ووزير الطاقة سبنسر إبراهام وهو من مؤسسي الجمعية وغلاة اليمين الديني.

ويـتفق هؤلاء جميعا في معارضتهم لتشريعات المساواة العرقية، ورفض قوانيـن مـنع اسـتخدام العـنف ضد المرأة، خدمتها في الجيش وحريتها في الإجهاض كما يدعمون استمرار العمل بعقوبة الإعدام وفرض رقابة على وسائل الإعـلام وحـرية النشـر ويفضلون تقديم دعم حكومي للمنظمات الدينية ونقل صـلاحيات الدولـة إليها في مجال الخدمات الاجتماعية والصحية ويسعون إلى فصل الجنسين في المدارس الحكومية.

مؤسسـة هيراتـيج – Heritage Foundation: وهي أكثر المؤسسات الفكـرية الأمريكـية تطرفا ومن المعروف أنها وضعت مسودة سياسات البيت الأبـيض خـلال الفـترة الرئاسية الأولى لرونالد ريجان ومسودة ((التعاقد مع أمريكا)) التي تبناها الجمهوريون عندما استعادوا سيطرتهم على مجلس النواب

عـــام (١٩٩٤)، وقـــد أمـــدت هيراتيج إدارة بوش بمجموعة كبيرة مَن موظفي المستويين الأول والثاني.

وتعتبر وزيرة العمل إيلين شارو من أبرز وجوه المؤسسة في الإدارة وهي إضـــافة إلـــى زميلـــتها المرشحة السباقة ليندا شافيز من أبرز معارضي التعدد اللغوي ومن أنصار فرض الإنجليزية لغة رسمية للبلاد.

ومـــن رموز هيراتيج أيضا مساعد وزير التعليم أيوجين هيكوك، المستشار السياســـي للرئـــيس وكاتب خطاباته مايكل جيرسون، المساعد الخاص للرئيس، وكاتـــب خطاباته الاقتصادية ديفيد فروم، ومدير دائرة المبادرة الاستراتيجية في البيت الأبيض باري جاكسون، ومدير مكتب مساعد نائب الرئيس لشئون الأمن القومي ستيفن باتس ومدير صوت أميركا روبرت رايلي.

مركـــز السياســـة الأمنية (Center for Security Policy) أنشأه فرانك جافني مساعد وزير الدفاع في إدارة ريجان وصاحب مبادرة الدفاع الاستراتيجي ويوصـــف بأنه مركز أعصاب جماعات ضغط حرب النجوم. ومن رموزه في الإدارة وزيـــر الدفـــاع دونـــالد رامسفيلد، ونائبه بول وولفيتز، ومساعد الوزير للشـــئون السياسية دوجلاس فيبيث، ونائبة مساعد وزير البحرية لشؤون الاحتياط والمـــوارد البشرية أنتيا بلير ومستشار بوش الجديد لشؤون الصراع العربي – الإســـرائيلي إلـــيوت إبرامـــز الذي عمل رئيسا لمركز السياسة العامة المختص بتوثـــيق الروابط المسيحية – اليهودية وشغل عضوية مجلس إدارة المركز بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٦.

مؤسسة أمريكان إنتربرايزر (American Enterprise Institute): أكثر المؤسســـات اليمينية نفوذا في الولايات المتحدة وتعتمد في عملها على تبرعات منظمات اليمين المتطرف. ومن رموزها في الإدارة وزير الخزانة السابق بول أونـــيل الـــذي أقاله بوش مؤخرا، ومساعد وزير الخارجية لشؤون التسلح جون بولتون وكان يشغل منصب نائب رئيس مجلس إدارة المؤسسة قبل أن ينتقل إلى مركز السياسة الأمنية.

مؤسسة كاتو: (Cato Institute) تقود عمليات الضغط باتجاه خصخصة القطاعات الخدمية الحكومية، وقد أنفقت نحو ثلاثة ملايين دولار لدعم فكرة خصخصة الضمان الاجتماعي في الولايات المتحدة. ومن رموزها في الحكومة المساعد الخاص في مكتب مساعد وزير الخارجية لشؤون التسلح مارك جرومبردج.

مؤسسة هدسون (Hudson Institute): مقرها إنديانا وهي تضغط باتجاه إلغاء الضرائب على الشركات الكبرى. ومن رموزها في الإدارة مساعدة وزير الخارجية للشئون الدولية باولا دوبرنيسكي، مساعد وزير التعليم كارول داميكو، ومساعد وزير الصحة ويد هورن وهو من كتاب الواشنطن تايمز – أبرز صحف اليمين الجمهوري – ومساعد وزير الإسكان جون ويشر.

منظمة أمريكيون من أجل الإصلاح الضريبي (Americans for Tax Reform): يقودها جروفر نوركويست الذي يوصف بأنه مركز أعصاب اليمين المحافظ في أمريكا حيث يرأس اجتماعا أسبوعيا لأشد جماعات الضغط اليميني تطرفا. ومن رموزها الحكومية وزير الصحة تومي تومبسون وهو عضو أيضاً في مجلس السياسة القومية وهي منظمة يمينية سرية تضم زعيم الأغلبية السابق في مجلس الشيوخ ترينت لوت والزعماء الدينيين الذين أوصلوا بوش إلى البيت الأبيض، وجيري فالويل، ورالف ريد وبات روبرتسون. وتضم أيضا ريتشارد لاند للحريات الدينية حول العالم الذي يطالب الحكومة بتقديم الدعم المالي اللازم لتحويل المسلمين، واليهود والهندوس إلى المسيحية.

عقل الأزمة ونموذج الأزمة الكورية والعراقية

للوقوف على اختلاف إدارة الولايات المتحدة الأمريكية للأزمة في البلدين يلزم بداية توضيح موجز لكل من الأزمتين:-

الأزمة العراقية:-

الولايات المتحدة الأمريكية تستهدف العراق منذ أكثر من ٢٥ عاماً وتحديداً منذ الانقلاب والثورة على ملك العراق في أواخر الخمسينيات وربما يرجع ذلك لأهمية موقع العراق وهو القريب من وسط آسيا والحدود الروسية وقت الانقلاب وطبقاً لما تكشف حالياً من امتلاكه احتياطات بترولية ضخمة يعتقد أنها تقترب من احتياطات المملكة العربية السعودية ومحاولات الولايات المتحدة الأمريكية التخلص من اعتمادها على بترول منظمة الأوبك بخلاف أهداف سياسية وإقليمية أخرى عديدة أهمها تأمين الظهر الخلفي لدولة إسرائيل بإخراج العراق من حسابات القوة العربية الشاملة والتهديد المباشر لإيران من الغرب.

الأزمة الكورية الأمريكية:

تتهم الولايات المتحدة كوريا الشمالية أيضاً كإحدى ثلاث دول تشكل محور الشر في امتلاكها أسلحة التدمير الشامل خاصة الصواريخ وأسلحة نووية ولاشك أن هذه القوى تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية تشكل تهديداً للتواجد الأمريكي في المنطقة سواء في اليابان أو تايوان أو كوريا الجنوبية أو في دول أخرى جنوب وشرق آسيا.

وإن كان يجمع الدولتين معا أنه يتواجد بها نظم حكم تعارض السياسة الأمريكية وتواجدها في هذه المنطقة بخلاف أنها تهدد – طبقاً للادعاءات الأمريكية – دولاً صديقة للولايات المتحدة الأمريكية في كل من الخليج العربي بالنسبة للعراق وفي جنوب وشرق آسيا بالنسبة لكوريا الشمالية.

تعود الأزمة الراهنة بين واشنطن وبيونج يانج إلى أغسطس عام (١٩٩٨) حين صدمت كوريا العالم بإطلاقها صاروخاً باليستيا بعيد المدى فوق اليابان آنذاك، وتم احتواء الأزمة بالطرق الدبلوماسية.

لكن المشكلة طفت على السطح مجدداً في أكتوبر (٢٠٠٢) الماضي حين أعلن مسؤولون أمريكيون أن كوريا الشمالية استأنفت برنامجها النووي الذي كان قد أوقف بموجب الاتفاق – الإطار الذي بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية

عـــام (١٩٩٤)، وهـــنا جاءت الصدمة الثانية فبدلاً من أن تنفي بيونج يانج هذه الاتهامـــات، عمـــدت إلى تأكيدها ثم أرفقت ذلك بسلسلة من خطوات استفزازية بـــدأت بالانســـحاب من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والتهديد باستئناف التجارب الصاروخية والتخلي عن اتفاقية الهدنة لعام (١٩٥٣) التي أنهت الحرب في شبه الجزيرة الكورية عام (١٩٥٠-١٩٥٣).

وفي أواخر فبراير (٢٠٠٣) خرقت مقاتلة ((ميج)) كوريا الشمالية الأجواء الجوية لكوريا الجنوبية للمرة الأولى منذ عدة سنوات.

وهـــي الرســـالة التي أراد الرئيس الكوري الشمالي توجيهها إلى الولايات المـــتحدة الأمريكية علنية وصريحة، توقيع معاهدة عدم اعتداء بين البلدين تلغى بموجـــبها وضعية بلاده بصفتها العدو ((رقم ٢)) على جدول "محور الشر" بعد العـــراق وقبل إيران وهو يستخدم المسألة النووية – الصاروخية كورقة ابتزاز للوصـــول إلـــى هـــذا الهدف، بيد أن هذه ليست الورقة الوحيدة ثمة أيضاً ورقة "عاطفـــية أخرى" إذا جاز التعبير فالكوريون الشماليون يجادلون وعن حق بأنهم كـــانوا الـــبلد الأكـــثر تعرضـــا للتهديدات النووية الأمريكية طيلة نصف القرن الماضي.

ففـــي خريف عام (١٩٥٠) سعى الجنرال الأمريكي ماك أرثر إلى ضرب كوريـــا بالقـــنابل الذريـــة وخلال الحرب الكورية تداول أعضاء هيئة الأركان المشتركة الأمريكية مسألة استخدام القنبلة لإخضاع الشمال الكوري وقد اقتربوا بالفعل عدة مرات من اتخاذ قرار في هذا الشأن.

وفـــي عملية "هدسون هاربر" عام (١٩٥١) قامت قاذفة أمريكية من طراز (ب-٥٢) بالتحلـــيق فوق عاصمة كوريا الشمالية لتبدو كأنها تستعد لإلقاء قنبلة ذرية بهدف إحداث الذعر وبالطبع نجحت الطائرة في تحقيق هدفها.

وبـــدءا من عام (١٩٥٧) احتفظ الأمريكيون بمخزون من الأسلحة النووية قـــرب المنطقة المنزوعة السلاح في الجنوب بهدف تخويف الشمال ولم تسحب

واشـــنطن هذا المخزون إلا في عام (١٩٩١) بضغط من حركة السلام الكورية الجنوبـــية ورغم ذلك واصلت الولايات المتحدة إجراء مناورات القصف النووي بعيد المدى حتى عام (١٩٩٨).

هـــذا التاريخ النووي الصاخب يُطرح الآن على أنه أحد الأسباب الرئيسية وراء سعي بيونج يانج للحصول إما على أسلحة نووية أو على ضمانات أمريكية بعدم استخدام هذه الأسلحة ضدها.

ويبدو أن هذا الصخب بدأ يؤتي بعض الثمار فقد نجحت المناورات الكورية الشمالية البارعة التي استفادت من انشغال الولايات المتحدة في حرب العراق في وضع كل التحالفات الأمريكية في الشرق الأقصى أمام إشكالات حقيقية.

ويقـــول الكاتب الأمريكي هوارد فرينش إن المواجهه بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية حول برنامج هذه الأخيرة النووي بدأ يختبر بشدة أقدم التحالفات الأمريكـــية فـــي المـــنطقة. وهذا استنتاج دقيق فقد وصل إلى السلطة في سيول الرئـــيس "روه مو – هيون" الذي نجح في الانتخابات تحت شعار تسريع سياسة الانفتاح بين الكوريتين في مجالات التجارة والمساعدات والاستثمارات ورفض فـــرض العقوبات الاقتصادية أو توجيه الضربات العسكرية إلى بيونج يانج بل عرض أن يضمن شخصياً أمن كوريا الشمالية.

اليابان:

أمـــا في اليابان فتبدو الصورة أكثر تعقيداً وحتى أكثر خطورة إذ في خضم الأزمـــة الحالـــية بـــدأ مسؤولون في اليابان (المسالمة رسمياً) الحديث عن شن "ضربات استباقية" ضد كوريا الشمالية لتدمير الصواريخ البالستية الموجهة ضد بلادهـــم بـــل قال وزير الدفاع الياباني شيجيرو إسهيبا "إن أمتنا ستستخدم القوة العسكرية كإجراء للدفاع عن النفس إذا ما بدأ (الكوريون الشماليون) باللجوء إلى السلاح ضدها.

هـنا وفـي الوقـت الذي ينادى فيه "كوزو" رئيس الوزراء الحالي برفض صيحات الحرب العالية هذه إلا أن خططه وخطط المعتدلين لتسوية الأوضاع في المـنطقة لا تقل خطورة عن تداعيات هذه الصيحات فثمة دعوات قوية الآن في طوكيو للانفتاح على كل من كوريا الشمالية والصين، لأن ذلك قد يساعدها على بلورة سياسة خارجية مستقلة عن أميركا وعن لعب أدوار إقليمية وعالمية مهمة، بدلاً من أن تكون مجرد (بريطانيا أخرى في شرق آسيا).

وهـذا الـتطور يشـكل سيناريو الرعب الأمريكي الحقيقي. فبالنسبة إلى البنـتاجون مـن المُلح أن تواصل اليابان الاعتماد على الحماية الأمريكية. وأي محاولـة لاستبدال هذه الحماية بوفاق مع بيونج يانج وبكين تعتبر ضربة قاضية للنفوذ الأمريكي العسكري والسياسي في شرق آسيا.

فإذا ما خفت التوترات مثلاً بين كوريا الشمالية واليابان وبين الكوريتين فإن مبرر وجود القواعد الأمريكية في المنطقة (خصوصاً أوكيناوا) ودور اليابان في الاستراتيجية الأميركية العالمية سيكون موضع تساؤل.

الصين:

كذلـك حاولت الولايات المتحدة مع الصين في دعمها نزع أسلحة التدمير الشامل الكورية إلا أن الصين رفضت ولم تساند الموقف الأمريكي فكولن باول الـذي زار بكيـن أواخر فبراير (٢٠٠٣) سعياً للحصول على دعمها لحل هذه الأزمـة (بصـفتها الطرف الذي يمد كوريا الشمالية بكل احتياجاتها من الطعام والطاقـة) لـم يحقـق الكثير من المحادثات ليعترف بأنه لم يحقق اختراقاً مع المسـؤولين الصـينيين لا حـول نزع سلاح بيونج يانج ولا حول نزع سلاح العراق.

هـذا فـي حين كان مسؤولون أمريكيون يقولون إنه لامناص أمام الصين سـوى الـتعاون مع أميركا "لأن بروز كوريا الشمالية نووياً سيؤدى حتما إلى بروز اليابان نووياً أيضاً" وهذا يشكل كابوساً حقيقياً لبكين.

هكـذا تظهر حقيقة الموقف الأمريكي تجاه الأزمة الكورية وهو تراجع من يطلقـون على أنفسهم لقب الصقور ويقولون إنه ليس في وسع الإدارة الأمريكية أن تفعـل أكـثر من ذلك وحذف منطق القوة واستراتيجيات الحرب الاستباقائية والوقائية والنووية ونظريات محور الشر وغيرها الكثير من الاستراتيجيات التي تطبق على العراق.

الصين من الدول التي عارضت دور الولايات المتحدة الأمريكية في ضرب العراق ولا تختلف التحليلات والأسباب لمعارضة الصين للحملة الأمريكية على العـراق عما ذكر بالنسبة لفرنسا وألمانيا وروسيا وإن كان الأمر يختلف نسبياً بالنسـبة للصين والذي نضيف هنا طبقاً لأراء بعض المحللين أن ضرب العراق هـو خطوة للاقتراب من الصين وتشديد الخناق عليها نسبياً خاصة وأن الصين مـن الـدول التي تستورد بتروﻻً من دول الخليج في الوقت الحاضر وسيتزايد استيرادها من النفط في المستقبل لقرب نضوب الاحتياطيات المتوفرة بها.

كمـا أن تنامي القدرات الاقتصادية للصين خاصة خلال الـ ١٠-١٥ سنة الماضـية تعتـبره الولايـات المتحدة الأمريكية يشكل تهديداً لها ويتعارض مع استراتيجية الولايات المتحدة في عدم السماح ببزوغ قوى دولية اقتصادية جديدة تنافس الولايات المتحدة.

ولعلـنا فـي الـنهاية وربما يمكننا أن نحاول الإجابة على الاختلاف في النموذجين الكوري عن العراقي فيما يلي:-

١- بالنسـبة للقدرات العسكرية التقليدية وغير التقليدية ففي كوريا الشمالية أكبر بكثـير مـن قدرات العراق العسكرية فكوريا الشمالية تمتلك صواريخ بعيدة المدى يمكنها أن تطول أراضي الولايات المتحدة الأمريكية وتهدد فعلياً دول إقليمية تسير في فلك الولايات المتحدة الأمريكية.

٢- أن الـدول المحـيطة والمجاورة لها سواء صديقة أو معادية ترفض ضرب كوريا فدول الجوار لها اليابان، الصين، روسيا، بعكس الأوضاع في العراق بالنسبة للوضع في الدول العربية.

٣- أن كوريا الشمالية تجاوزت بكثير إمكانيات صنع الأسلحة الذرية إن لم يكن قـد أنتجتها فعلاً بعكس حالة العراق التي ربما تمتلك تكنولوجيا التصنيع فقط ولم تنتجها بعد (وذلك قبل الاحتلال).

٤- أن الجهود الأمريكية تجاه كوريا الشمالية بهدف الضغط على كوريا الشمالية لـتكون مسـتعدة لمناقشـة القضايا الأمنية الواسعة في المنطقة بعكس حالة العـراق والـذي تهـدف فيه الولايات المتحدة بالأساس إيجاد حكومة عميلة موالية وتوافق على السياسة الأمريكية في المنطقة.

٥- أنه في حالة كوريا الشمالية فالولايات المتحدة الأمريكية تحتاج موافقة أربع عواصـم إقليمية وهي موسكو، طوكيو،، بكين، سيول والأمر يختلف ما بين هـذه العواصم والعواصم المماثلة في الشرق الأوسط وحالة الضعف العربي وأن هذه الدول لن تتفق مع السياسة الأمريكية في حال استخدام القوة إلا بعد إحسـاس هـذه الدول أن الولايات المتحدة الأمريكية بذلت جهدها من خلال الدبلوماسية لتجنب تصعيد الموقف مع كوريا الشمالية.

ثانياً: المراحل الرئيسية لإدارة الأزمة العراقية وتهيئة المناخ الدولي

لقد كان أهم الأعمال الرئيسية في إدارة الأزمة العراقية الأمريكية هي سعي الولايات المتحدة الأمريكية لتهيئة المناخ الدولي لإدارة الأزمة العراقية، بدءا من تأكيد اتهام العراق بامتلاكه أسلحة التدمير الشامل مما يشكل تهديداً للسلم والأمن العالميين واعتبار امتلاك العراق لهذه الأسلحة تهديداً للولايات المتحدة الأمريكية وقـد أضافت الولايات المتحدة الأمريكية اتهامات إضافية للعراق منها: أنه نظام مستبد يحكم شعبه بقوة السلاح ولا يسمح للأقليات بالمشاركة ويضرب مثلاً بذلك بإعلانه الحرب على جيرانه إيران والكويت، ثم الحملة ضد الأكراد عام ١٩٨٩

واتهـــام صدام حسين بضرب مدينة حلبجة بالأسلحة الكيميائية، هذا إضافة إلى دعـــاوى ضـــبط التسلح والذي طبق على العرب بصورة أخرى وهي الحد من التســـلح فـــي الوقـــت الـــذي تغـــدق فيه الولايات المتحدة الأمريكية بالأسلحة وتكنولوجيا صناعة الأسلحة على إسرائيل.

وتتضـــح الدعـــاوى الأمريكـــية من حديث الرئيس جورج بوش مع بوب وودوارد مســـاعد مديـــر صـــحيفة الواشنطن بوست في التاسع عشر من شهر نوفمـــبر (٢٠٠٢) حـــول أسلوبه في القيادة ومكانة أمريكا في العالم والاتهامات لإدارتـــه بأنهـــا تمـــيل إلى العمل المنفرد والحديث عن العراق وعندما تطرق الحديث عن الحرب الأفغانية كان بوش حساساً للغاية إزاء الاتهامات بأنها حرب دينية أو حرب ضد الإسلام ورفض هذا التشبيه متحدثاً عن ضرورة الدفاع عن قـــيم الحرية والعدالة وعن اهتمامه بجانب معاناة الناس قائلاً إنه أراد أن ينظر العـــالم إلى أمريكا كدولة حررت أفغانستان وليس كدولة ساعية للهيمنة والتسلط كما أنه أضاف أنه يرى أيضاً أبعاد إنسانية في قضيتي العراق وكوريا الشمالية وفـــي قوله أيضاً إن أمريكا لن تستطيع مطلقاً أن تحصل على موافقة كل الناس على استخدام القوة.

وكـــان لرؤية الرئيس بوش حول الدور العالمي الممتد الذي يقول إن على الولايـــات المـــتحدة أن تلعبه هي التي تعكس التغيير الذي حدث في تفكيره منذ هجمـــات ١١ ســـبتمبر التي غيرت العالم وغيرت رئاسته بصورة كاملة إذ قال بـــوش ((في هذه اللحظة من لحظات التاريخ إذا كانت هناك مشكلة عالمية فإن دورنا هو أن نتعامل معها ونحلها هذا هو ثمن القوة وهو ثمن المكانة التي تحتلها حالياً الولايات المتحدة الأمريكية)) المشاكل التي يعتقد بوش أن واجب الولايات المـــتحدة الأمريكية التصدي لها ليست عسكرية فحسب بل إنسانية ويدعى بوش أن هذا هو السبب الذي جعله يكلف الجنرال ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان المشـــتركة لإســـقاط المساعدات الإنسانية في أفغانستان قبل بداية حملة القصف الأمريكي على تلك البلاد وأضاف كانت حساسيتي مرتفعه إزاء الاتهام بأن تلك

كانت حرباً دينية وأن الولايات المتحدة ستكون هي القوة القاهرة وكنت أتطلع أن ينظر إلينا ليس باعتبارنا قاهرين بل محررين.

من هذا المنطلق أيضاً برر الرئيس الأمريكي بالطابع الإنساني لهدف تغيير النظام العراقي والذي قال إنه ستكون له أبعاد استراتيجية.ومن وجهة نظره أيضا هناك معاناة لا توصف في حالة كوريا الشمالية.

هناك قيم خيرة بالنسبة للشعب الأمريكي فإنها خيرة كذلك بالنسبة للشعوب الأخرى وهذا لا يعني أننا نفرضها بل يعنى أنها قيم خلقتها الولايات المتحدة هذه قيم الحرية والطبيعة الإنسانية وحب الأمهات لأطفالهم.

كما طالب الرئيس الأمريكي أن يكون السيف الأمريكي حديداً وحاداً في كل الأوقات ووصف نفسه بالاستفزازي أي يستفز الناس لدفعهم لاتخاذ قرارات.

وقد كان لتاريخ الأحداث والضغوط الأمريكية لتحقيق حملتها وخططها مستفيدة من أحداث ١١ سبتمبر تأثيرا على تنفيذ مراحل حملتها التالية.

وهكذا كان لقبول العراق عودة المفتشين طبقاً لقرار ١٤٤١ أن عرقل المخططات الأمريكية حيث تصورت أنه سيرفض عودتهم رهناً بتجديد فترة التفتيش تمهيدا لرفع العقوبات نهائياً مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تبدى اعتراضها على تقارير المفتشين بأن العراق ما زال يراوغ وأنه لم يمتثل ومازال يمتلك أسلحة التدمير الشامل ولا يرغب في تدميرها.

كما استغلت الولايات المتحدة اتهام المفتشين للعراق بعدم تعاونه الكامل وسارعت باستكمال خطط الحشد الضخمة إلى الدول المحيطة بالعراق إلى حد أنه وصل عدد القوات في المنطقة إلى ما يقترب من ٢٥٠ ألف مقاتل حتى آخر فبراير (٢٠٠٣) مما مكنها من الحصول على تنازلات عديدة من الجانب العراقي مثل:-

١- الموافقة على تفتيش قصور الرئاسة.

٢- الموافقة على تحليق طائرات الاستطلاع الأمريكية ٢-u.

٣- الموافقة على استجواب العلماء العراقيين على درجات بدءا بوجود مندوب للحكومة ثم سمحت باستجوابهم منفردين.

٤- الموافقة على تدمير صواريخ الصمود- ٢ الذي اتهم العراق بأن مداها يزيد على ١٥٠ كيلو متر (١٨٠كم).

١- خلفية الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية

يمكن القول أن الصراع بين الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية يرتبط جذوره بالصراع العربي الإسرائيلي والدعم والمساعدات التي تقدمها لإسرائيل وتسليحها بأحدث الأسلحة والمعدات في الوقت الذي تطبق فيه حظر تسلح في صورة ضبط وصور أخرى على الدول العربية، وقد جسد هذا الصراع الدفين إلى أحداث حرب أكتوبر (١٩٧٣) التي شنتها كل من مصر وسوريا سعياً لتحرير الأرض العربية المحتلة والتي استخدم فيها سلاح البترول كأحد أدوات الصراع.

وقد كانت في هذه الفترة العراق بصفة خاصة من أكثر الدول تشدداً سواء في الحظر أو في عدم رفع حصص الإنتاج بهدف الحفاظ على سعر مناسب للصادرات البترولية العربية.

وتسترجع الولايات المتحدة الأمريكية الذاكرة أنه بناء على إلحاح من الرئيس نيكسون قرر وزراء النفط العرب في ديسمبر (١٩٧٣) أن رفع الحظر سيرتبط بالتناسب مع الخطوات نحو التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي يقرر انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وكان عند صدوره يُعبر عن إجماع دولي أمريكا جزء منه.

وكانت أمريكا مستاءة من التباطؤ العربي في رفع الحظر باعتباره نموذجا من الابتزاز العربي على رغم أن الرئيس نيكسون نفسه قد سبق له أن وعد

مراراً بالتنفيذ الكامل للقرار رقم ٢٤٢ وبالتالي فالمتوقع من وزير خارجيته أن يعمل على الوفاء بهذا الالتزام.

وفي ٢٥ يناير سنة (١٩٧٤) بعث نيكسون برسائل شخصية إلى الملك فيصل سجل في إحداها قولة "في رسائل سابقة إلى جلالتكم قلت إن الأحداث أثبتت حكمة مشورتكم عبر السنوات. إن حكومتي الآن تباشر وتلتزم بمسيرة هي في قناعتي ستحقق سلاماً عادلاً ودائماً في الشرق الأوسط، إن الثمار الأولى لهذا الالتزام تنعكس في اتفاقية فض الاشتباك بين القوات وبمقتضاها ستنسحب القوات الإسرائيلية من سيناء كخطوة أولى نحو تسوية نهائية بحسب قراري مجلس الأمن رقمي (٢٤٢، ٣٣٨)"، ويمكن تصور فداحة الحظر على الولايات المتحدة الأمريكية في خطاب الاتحاد والذي ألقاه نيكسون في يناير (١٩٧٤) وبدأ به خطابه بتهنئة الأمريكيين بحصوله على وعد من قادة عرب برفع الحظر العربي للبترول المصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد انخدعت الدول العربية في الوعود الأمريكية وإن كان تلا ذلك وعودها أيضاً عقب حرب الخليج الثانية عام (١٩٩١) ومؤتمر مدريد للسلام في ٣٠ أكتوبر (١٩٩١) والتي لم تحقق السلام المنشود حتى انتفاضة الأقصى في ٢٨ سبتمبر عام (٢٠٠٠).

٢- أحداث ١١ سبتمبر

كان لأحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) في الولايات المتحدة الأمريكية المروعة وانجذاب العالم إليها وتداعياتها والتهديد الأمريكي بأن عالم ما بعد الأحداث سيختلف عن عالم ما قبلها فقد كانت مفاجأة بدرجة كبيرة للمواطن الأمريكي الذي لم يشهد على أرضه هجوماً مماثلاً منذ أحرق البريطانيون البيت الأبيض عام (١٨١٢).

ومن بين العالم الذي شمله التهديد والوعيد الأمريكي العرب والمسلمون الذين وجدوا أنفسهم فجأة تحت المقصلة ليس فقط كأفراد نسبت إليهم الأحداث

منذ لحظتها الأولى ولكن أيضاً كدول وشعوب وثقافات في طول العالم وعرضه. ومع أن الشعبين البريطاني والأسباني مثلاً عانيا من الإرهاب المروع لأكثر من ثلاثين عاماً إلا أن حكومة واحدة في البلدين لم تحاول في أي وقت تصدير مشكلتها الداخلية إلى العالم بالقدر الذي فعلته الحكومة الأمريكية منذ أحداث سبتمبر فباسم تلك الأحداث لم تتحرك أمريكا لضرب أفغانستان فقط ولكنها عبأت الحشود لاحتلال العراق وتضع البرامج لتغيير الثقافات السائدة في العالم العربي بمجموعه وتقيم تحالفات وتخترع أعداء وتعلن استراتيجيات تهدد بها العالم كله بمبدأ من ليس معنا فهو ضدنا.

وبالنسبة للعرب صدرت تشريعات وإجراءات داخل الولايات المتحدة للتمييز الصريح ضد مواطني ست وعشرين دولة عربية وإسلامية واعتقل الآلاف بغير تهمة ولا جريمة ولا محامين ولا محاكمات وتلقت حكومات عربية وإسلامية ضغوطاً وتهديدات وتحركت بوارج وطائرات وأقيمت قواعد عسكرية ومخازن أسلحة وعبئت قوات برية وجوية وبحرية وأطلقت يد إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال بوحشية غير مسبوقة واعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية المقاومة الفلسطينية للاحتلال وكل من يؤيدها إرهاباً مماثلاً لإرهاب ١١ سبتمبر.

وتدخلت واشنطن في شؤون مصارف ومؤسسات مالية في الدول العربية بحجة الشفافية بحثاً عن علاقات مع الإرهاب وأطلقت سلطة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في اغتيال من تراهم داخل أي دولة أخرى وجرت ممارسة ذلك كنموذج مبكر في اليمن. وأعطت أميركا لنفسها الحق في توجيه ضربات عسكرية استباقية وإجهاضية ضد أي دولة ترى – أميركا- أنها مشتبه فيها وعلى رغم من أن كيسنجر الذي عين رئيساً للجنة التحقيق في أحداث ١١ سبتمبر والذي اضطر إلى الانسحاب من رئاسة لجنة التحقيق مبكراً إلا أن مجرد التفكير فيه لرئاسة لجنة أمريكية بتلك الأهمية والخطورة كانت له دلالة إضافية بالنسبة إلى المنطقة العربية خصوصاً، فنصف كوارث منطقتنا الحالية كان

لكيسنجر يد فيها إبان وجوده في الإدارة الأميركية سنوات نيسكون وفورد بل وحتى في ما بعدها عندما عمل لحساب شاه إيران حتى لحظته الأخيرة في السلطة بل وحتى وفاته وهو الذي كان صنيعة للاستخبارات الأمريكية من الأساس وبسبب جرائمه غير المسبوقة ضد شعبه استمرت العلاقة الأمريكية مع إيران مسمومة حتى الآن.

وهكذا تتضح خبايا السياسة الأمريكية تجاه الدول العربية والإسلامية ومنها دول منطقة الشرق الأوسط.

٣- خطاب الاتحاد للولايات المتحدة الأمريكية في ٢٩ يناير (٢٠٠٢):

عقب بدء الحملة الأمريكية المزعومة على الإرهاب من أفغانستان في السابع من أكتوبر (٢٠٠١) بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في البحث عن متهمين جدد في إطار حملتها على الإرهاب والتي لمحت في بعض الأيام بأنها تمثل حوالي ستين دولة في محاولة لتخفيف وطأة أحداث ١١ سبتمبر على الشعب الأمريكي ومن هذا المنطلق كان اتهام كل من العراق وكوريا وإيران بأنهم دول محور الشر وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية في إدارة الصراع مع كل من هذه الدول في إطار حملتها على الإرهاب عقب خطاب الرئيس الأمريكي المشار إليه.

تبعها مباشرة التلويح بالحملة على الإرهاب المرحلة التالية ووجهت أصابع الاتهام إلى العراق وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة في الحشد العسكري وتهيئة الرأي العام العالمي ودول المنطقة عن خطط الولايات المتحدة الأمريكية لشن الحرب على العراق ، وتفيد التقارير الأمريكية والغربية أن العد التنازلي للحملة بدأ اعتباراً من فبراير (٢٠٠٢) ورجحت بعض المصادر أنه من أواخر عام (٢٠٠٢) وإن كان يعتقد تأجيل موعد الحسم مرة تلو الأخرى بهدف أن تحين الفرصة المناسبة لتحقيق هدفها في الحملة المزعومة والذي بدأت إجراءاته بالفعل ٢٠ من مارس (٢٠٠٣) بعد انتهاء مهلة الإنذار التي حددها بوش إلى صدام للتنحي ومغادرة العراق والنفي طواعية وحدث الاحتلال فعلاً.

٤- صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١

وكـــان أن ســـنحت الفرصـــة للولايات المتحدة الأمريكية باستصدار قرار مجلـــس الأمـــن رقم ١٤٤١ في أوائل نوفمبر (٢٠٠٢) الذي يجبر العراق على قبول مفتشي الأمم المتحدة وبدأت التفسيرات المختلفة للأطراف المختلفة ما بين من يعتقد (انظر الملحق (١) عن القرار رقم ١٤٤١):-

أ- أن القرار يعطى الفرصة للحل السلمي ولعمل المفتشين الدوليين وفي حال عدم تجاوب العراق أو عرقلة عملهم على مجلس الأمن أن يقرر الخطوة التالية.

ب- والاتجاه الآخر والذي تترأسه الولايات المتحدة الأمريكية يرى أن القرار يخولها استخدام القوة لنزع أسلحة الدمار الشامل التي تدعى أن العراق يمتلكها حتى دون الرجوع مرة أخرى إلى مجلس الأمن.

٥- خطاب الاتحاد (حالة الأمة) للولايات المتحدة الأمريكية في ٢٩/ ١/٢٠٠٣ (الرئيس بوش):

تعهـــد بـــوش باستخدام قوة الولايات المتحدة العسكرية وعظمتها كلها في حـــرب العـــراق وسعى إلى حشد الأمة الأمريكية وراء عزمه على نزع أسلحة الحـــاكم العراقي. ووجه بوش أقصى الانتقادات إلى الرئيس العراقي مشيرا إلى التعذيـــب الـــذي يمارسه صدام حسين بحق شعبه معتبراً أن هزيمة نظام صدام حسين ستؤدى إلى تحرير الشعب العراقي وشدد بوش على أنه لا يزال يأمل في إيجاد حل سلمى للأزمة العراقية لكنه شكك في استعداد الرئيس العراقي لاحترام قـــرارات الأمم المتحدة وأضاف ((البعض يقول إن علينا ألا نتحرك إلا إذا كان التهديد وشيكاً لكن إذا سمحنا بظهور هذا التهديد فجأة وبكامل قوته يكون الأوان قـــد فات لأي تحرك أو اعتراض)) وأكد أن ((الثقة بحكمة صدام حسين وقدرته علـــى ضبط النفس ليس خياراً)) وقال ((إن دكتاتور العراق لا ينزع أسلحته بل على العكس إنه يخادع)).

وقال بوش متوجها إلى عشرات الآلاف من القوات الأمريكية المنتشرة في الخليج إن أوقات مصيرية لا تزال تنتظرنا وتابع ((هذه الأمة تحارب على مضض لأننا نعرف الثمن ونخشى الحزن الذي يرافق الحروب على الدوام)) لكنه عاد ليشدد ((في حال فرضت الحرب علينا سنقاتل بكل ما أوتيت الولايات المتحدة الأمريكية من قوة وعظمة عسكرية والنصر سيكون حليفنا وسننتصر)) وفي محاولة لتجاوز معارضة أي عمل عسكري ضد العراق قال بوش إن ((الولايات المتحدة ستطلب من مجلس الأمن أن يعقد اجتماعا في الخامس من فبراير للبحث في وقائع استمرار العراق في تحدي العالم)).

وأضاف الرئيس بوش أن إدارته ستقدم إلى مجلس الأمن الدولي (أدلة) على الصلات التي قال بوجودها بين العراق ومنظمات إرهابية مشيراً إلى تقرير كولن باول الذي عرض فيه أمام مجلس الأمن معلومات ومعطيات من أجهزة استخبارات حول برامج العراق للأسلحة المحظورة ومحاولاته إخفاء هذه الأسلحة عن المفتشين وروابطه مع مجموعات إرهابية وقال سنجرى المشاورات لكن أود تبديد أي التباس في حال لم ينزع (الرئيس العراقي) صدام حسين أسلحته كلياً فإننا سنقود ائتلافا لنزع أسلحته حفاظاً على أمن شعوبنا والسلام في العالم وشدد بوش على وجود أدلة من مصادر الاستخبارات واتصالات سرية وأفاد أنه من استجواب سجناء تكشف أن (الرئيس العراقي) صدام حسين يساعد ويحمي إرهابيين منهم أعضاء في تنظيم القاعدة وأضاف (بطريقة سرية ومن دون أن يخلف آثارا يستطيع أن يعطى إحدى هذه الأسلحة المخفية إلى إرهابيين أو مساعدتهم على تطوير أسلحتهم).

٦-إنشاء مركز للتهديدات الإرهابية:

أعلن الرئيس بوش في خطابه عن إنشاء مركز للاستخبارات لتقديم تحليل دقيق ومتكامل للتهديدات الإرهابية الخارجية والداخلية التي تواجه الولايات المتحدة وقال بوش ((الليلة فإنني أصدر تعليماتي إلى قادة مكتب المباحث الفيدرالي والاستخبارات المركزية ووزارة الأمن الداخلي ووزارة الدفاع لإنشاء

مركـز لمواجهـة التهديدات الإرهابية لتجميع وتحليل كافة المعلومات الخاصة بالـتهديدات (الإرهابية) في موقع واحد ولا يحتاج بوش إلى موافقة الكونجرس لإنشاء المركز الجديد.

وقـال مسؤول كبير في إدارة بوش إن الجهاز الجديد الذي سيرأسه جورج تينيـت مديـر وكالـة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي. آي. إيه) ويضم الوكالة ومكتب المباحث الفيدرالي (إف. بي. آي) ووزارة الأمن الداخلي ووزارة الدفاع (البنتاجون) ستكون مهمته تحسين حماية الأمريكيين بالحيلولة دون تكرار الهجمات التي شنت على الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر (٢٠٠١).

٧- التقرير الأول للمفتشين في ٢٧/يناير /٢٠٠٣

هذا وكان رئيس لجنه "أنموفيك" والمدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية قـد قدمـا تقريـرهما الأول في السابع والعشرين من يناير (٢٠٠٣) وقد كانت الـتقارير كلها لا تدين العراق بشكل صريح وإن كان الاتهام الذي وجه للعراق أنه لا يتعاون بشكل تام مع المفتشين ولم يقدم المعلومات الضرورية الهامة عن أسلحة التدمير الشامل.

وفـي هـذا الإطار طلبت الولايات المتحدة الأمريكية عقد اجتماع لمجلس الأمـن لسماع تقرير وزير الخارجية الأمريكي كولن باول والذي ادعى تقديمه بيانات ومعلومات تؤكد امتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل وشملت تسجيلات صـوتية لبعض القادة تدعى الولايات المتحدة الأمريكية أنها تمت بهدف إخفاء أسـلحة التدمير الشامل كما شملت صوراً أيضاً عن العربات المتنقلة التي ادعت أنها عبارة عن معامل لإنتاج الأسلحة البيولوجية كذلك صوراً أخرى لمواقع يتم فيها إخفاء أسلحة التدمير الشامل العراقية.

٨-التقرير الثاني للمفتشين في ١٤ فبراير (٢٠٠٣)

تقرير رئيس لجنه أنموفيك:-

في ١٤ فبراير (٢٠٠٣) قال هانس بليكس في تقريره أمام مجلس الأمن لو كـــان العراق تعاون بشكل مُرضٍ عام (١٩٩١) لكانت مرحلة نزع الأسلحة في ظـــل القـــرار ٦٨٧ قصـــيرة ولكان بالإمكان تجنب عقد من العقوبات وأكد أن اســـتئناف عملـــيات التفتيش يساهم فعلياً في الاطلاع على ما قام به العراق بعد رحيل المفتشين عام (١٩٩٨) من بغداد وقال إن عمليات التفتيش تساهم فعلياً في ردم الفجوة التي خلقها غياب المفتشين بين ديسمبر (١٩٩٨) ونوفمبر (٢٠٠٢) في مجال الاطلاع على التسلح العراقي.

وشـــكك رئيس لجنه (أنموفيك) في التفسير الأمريكي للصور الملتقطة عبر الأقمـــار الصـــناعية التـــي عرضها وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في الخـــامس من فبراير على أنها أدلة على أنشطة مشبوهة في موقع تسلح عراقي وقـــال بلـــيكس (قـــد يكون الأمر متعلقاً بنشاط روتيني وليس عملية نقل ذخائر محظـــورة مع اقتراب عملية تفتيش محتملة في إشارة إلى الصور التي عرضها باول في الخامس من فبراير على أنها أدلة أمريكية ضد العراق وقال إنها تظهر نقل أسلحة من موقع عراقي).

وأكـــد بلـــيكس عدم وجود أي دليل على أن العراق كان يعلم مسبقاً بوجهة الخـــبراء الدوليين في إطار عمليات التفتيش عن أسلحة دمار شامل وأضاف لم نطلع أبداً على دليل مقنع يظهر أن الجانب العراقي كان على علم مسبق بوصول المفتشـــين وقـــال إن العراق قدم تعاونا من الناحية الإجرائية خصوصاً الدخول الفـــوري للمواقع دون إبطاء أو أية مشاكل لاسيما دخول القصور الرئاسية ونوه باستمرار هذا التعاون الجوهري الذي لا غنى للمفتشين عنه، لكنه قال إن الأمر يتطلـــب أكثر من فتح الأبواب، فعليه عرض ما تبقى من مواد محظورة أو أدلة

على تدميرها مشيراً إلى عدم عثور مفتشي لجنة أنموفيك على أي مواد محظورة عدا عدد قليل من الرؤوس الكيماوية الفارغة.

ولفت النظر إلى عدم حسم مصير بعض مواد غاز الأعصاب والجمرة الخبيثة التي يقول العراق أنه دمرها مضيفاً أن العراق أضاع فرصة لتوضيح مصير هذه المواد في الملف الذي قدمه عن أسلحته وقال إن مهمة المفتشين ليست العثور على كل المواد المحظورة ولفت إلى مشكلة فنية في التحقق من تدمير غاز الأعصاب والخبراء مازالوا يدرسون الأمر وهناك شكوك في شأن دفن هذه المواد.

وأشار بليكس إلى تحقيق تقدم بالنسبة إلى تعاون بغداد في الأسابيع الأخيرة ولا سيما في مجال الالتقاء بالعلماء على انفراد والسماح باستخدام طائرات ((يو-٢)) لكنه أوضح أنه لا يعلم شيئاً عما حدث للعديد من الأسلحة المحظورة وقال هذا مهم جداً وأضاف منذ وصولنا إلى العراق قمنا بأكثر من ٤٠٠ عملية تفتيش لأكثر من ٣٠٠ موقع وجميع عمليات التفتيش جرت من دون إخطار مسبق والوصول إليها كان دائماً تقريباً ما يحدث سريعاً.

وذكر أن عمليات التفتيش شملت مواقع رئاسية كما استخدمت في بعضها رادارات تخترق الأرض وكشف أن العراق يملك صواريخ يفوق مداها المسافة التي تسمح بها قرارات الأمم المتحدة وقال (فإن نموذجي صاروخ الصمود -٢ قادران على تجاوز مسافة ١٥٠ كم ونظام الصواريخ هذا محظور حالياً بموجب القرارين ٦٨٧، ٧١٥ الصادرين عن مجلس الأمن عام (١٩٩١) وأضاف أنه من الضروري إجراء تدقيق إضافي في المعلومات التي قدمتها السلطات العراقية عن نظام صواريخ آخر أطلق علية اسم (الفتح) كي (يتم الاطلاع على قدرات نظام صاروخ الفتح).

وطالب بليكس العراق بأن (يحدد بوضوح وضع الجمرة الخبيثة وغاز الأعصاب والصواريخ طويلة المدى) وهو ما يعني عدم إدانة لامتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل.

٩-تقرير المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية

أعلن المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي أن المفتشين الدوليين (لم يعثروا على أنشطة نووية أو أنشطة مرتبطة بالأسلحة النووية المحظورة تجرى حالياً في العراق).

وأضاف أن خبرة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مجال التحقق من الأسلحة النووية تثبت أنه من الممكن لاسيما مع وجود نظام تحقق حازم، تقويم وجود أو عدم وجود برنامج نووي حتى من دون التعاون التام من جانب سلطات الدولة المعنية، لكنه حض بغداد على التعاون بصورة تامة وفعالة للتعجيل بعملية التفتيش.

ونوه بتعاون العراق الذي (سمح بالوصول إلى كل الأماكن من دون إبطاء أو عراقيل) وأشار إلى أن المرحلة الجديدة هي التأكد من عدم استخدام المعدات ذات الاستخدام المزدوج في نشاطات محظورة.

وأشار إلى وجود بعض القضايا مازالت قيد البحث ولم نتوصل إلى نتيجة في شأنها بعد، مثل مادة (إتش. إم. إكس).

وقال إن الوكالة الدولية للطاقة النووية مستمرة في عمليات التفتيش المفاجئة وتعزيز قدراتها في التحقيق والمراقبة ومقارنة المعلومات التي تحصل عليها مع المعلومات التي يقدمها العراق.

واعتبر المدير العام للوكالة قرار الرئيس العراقي صدام حسين حظر أسلحة الدمار الشامل وقال (رفع هذه العقبة القانونية يعتبر بالنسبة إلى العراق خطوة في الاتجاه الصحيح لإبداء رغبته في الانصياع للالتزامات الواردة في قرارات مجلس الأمن).

وحث العراق على تأكيد (التزامه التعاون بالاستمرار في ترجمة ذلك عملياً) وختم كلمته بعدم وجود دليل لدى الوكالة على نشاطات نووية لدى العراق.

وجهات النظر المختلفة:

اعتبر وزير الخارجية الأمريكية أن التقدم الذي أحرزه المفتشون ليس كافياً وطالب الأمم المتحدة بالبدء في دراسة العواقب الوخيمة للعراق وطالب نظيره البريطاني جاك سترو الرئيس صدام حسين بتغيير فوري وكامل في تصرفاته لتجنب الحرب مشدداً على أن بغداد تواجه العواقب الوخيمة إذا لم يتغير سلوك صدام.

وفي مؤشر مهم إلى أن الانقسام في مجلس الأمن الذي يتعمق يوماً بعد الآخر أعلن وزير الخارجية الفرنسي"دومينيك دوفيلبان" أنه فخور بكونه من (بلد قديم في قارة قديمة طبقاً للاتهام الأمريكي لأوروبا) ودعا المجلس إلى عقد جلسة في ١٤ مارس (٢٠٠٣) لتقويم عمل المفتشين نافياً أن تكون للعراق أي علاقة بتنظيم (القاعدة) ودعا وزير الخارجية الروسي إيجور إيفانوف إلى مواصلة عمليات التفتيش لأنها تسير بسلاسة مطالباً العراق بمواصلة تعاونه مع المفتشين.

أما وزير الخارجية السوري فاروق الشرع فقارن بين موافقة العراق على القرارات الدولية وتعاونه مع المفتشين واعترافه بحدود الكويت واستقلالها وامتناع إسرائيل عن تطبيق ٥٠٠ قرار دولي وامتلاكها أسلحة دمار شامل وقال إن التعامل مع الحالتين يتجاوز قضية المعايير المزدوجة إلى التعرض لحقوق ومصالح (المسلمين والعرب).

١٠-مهلة للعراق حتى أول مارس للموافقة على تدمير صواريخ الصمود -٢:

في الحادي والعشرين من فبراير (٢٠٠٣) طلب كبير مفتشي الأمم المتحدة من العراق تدمير صواريخ الصمود - ٢ التي يمتلكها في الوقت الذي قدم فيه هانز بليكس رئيس لجنة أنموفيك تقريره الدوري إلى الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن في ٢٠٠٣/٢/٢٨ أعلن متحدث باسم الأمم المتحدة أن بالإمكان البدء في ٢٠٠٣/٣/١ بتدمير صواريخ الصمود -٢ العراقية التي تتجاوز المدى

المسموح به وهو ١٥٠ كم وجاء تأكيد المتحدث في اليوم التالي لإعلان العراق موافقته على تدمير هذه الصواريخ.

وقالت مصادر عراقية إن نحو ٥٠ صاروخاً من نوع الصمود – ٢ وزعت على وحدات الجيش إضافة إلى ٥٠ صاروخاً أخر لا تزال قيد التصنيع وجارى تجميع الكل لتدميرها.

كذلك تعمل واشنطن على التقليل من أهمية الموقف العراقي واستبق وزير الدفـــاع الأمريكي دونالد رامسفيلد الموافقة العراقية على تدمير الصواريخ واتهم رامســـفيلد بغداد بصورة عامة بأنها (تماطل) وبأنها (قاومت عبر إعلان ناقص) فـــي ديسمبر طلبات الأمم المتحدة بنزع السلاح الكامل وقد قام المفتشون بتدمير عدد لا بأس به من هذه الصواريخ قبل إلغاء مهمتهم في العراق.

وبـــرغم ما يبدو من تراجع العراق وجهوده في تنفيذ قرارات مجلس الأمن كـــان آخرها موافقته على تدمير الصواريخ أرض أرض من طراز الصمود-٢ والتي أعلن أن مداها لا يزيد عن ١٥٠كم وهو المدى المسموح به إلا أن إصرار مفتشي الأمم المتحدة دفعه إلى الانصياع لاقتراحاتهم وبدأ في التدمير منذ الأول من مارس (٢٠٠٣) بهدف عدم إيجاد ذريعة تستغلها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لتحقيق عدوانها.

ثالثاً: محددات الأزمة العراقية الأمريكية:

١- السياسة الخارجية الأمريكية:

يرى المحللون أن السياسة الأمريكية عبارة عن خليط متفاوت التركيب من الواقعـــية والبرجماتـــية كما أن المفكرين أيضاً يرون أن غالبية الطبيعة البشرية شريرة في الأساس وبالتالي فالغلبة للأقوى.

وهذا يعنى أن سياسة القوة هي وحدها المسيطرة على العلاقات بين البشر كمـــا أنه بالإمكانية التوصل إلى السلام الدائم بين البشر عن طريق تحقيق التقدم الفكري والأخلاقي للجنس البشري.

في الواقع أن أمريكا كانت مثالية طيلة القرون السابقة وحتى نهاية الحرب العالمـــية الثانـــية ويمكـــن القول بشكل عام أنها لم تكن شريرة أثناء فترة الآباء المؤسســـين: جـــورج واشـــنطن، بنياميـــن فرانكلين، إبراهايم لنكولن، توماس جفرســـون.. إلـــخ فـــي ذلك الوقت كان الحلم بالمثل العليا هو الذي يتغلب على الواقعية والمكيافيلية دون أن يلغي ذلك وجود الأخيرة وبخاصة لدى جفرسون.

ولكـــن بعد الحرب العالمية الثانية انتقلت أمريكا إلى سياسة الواقعية والقوة والتوســـع الإمبراطوري وتخلت عن النزعة المثالية إلى حد كبير دون أن يعنى ذلـــك أنهـــا انتهت بالطبع. وقد حصل في أوروبا تطور معاكس فأوروبا كانت واقعـــية من الناحية السياسية طيلة القرن الاستعماري الكبير التاسع عشر وحتى منتصـــف العشـــرين وبعدئذ أصبحت مسالمة وانتقلت عموماً إلى سياسة تحترم القـــانون الدولي وتتميز بالطابع الأخلاقي الإنساني ولكن العلماني فأوروبا أكثر علمنة من أمريكا بكثير.

فـــي الواقـــع أن أمـــريكا وطيلة كل تاريخها كانت تتأرجح بين ميلين ميل الانعزالـــية والتقوقع على الذات وميل التوسع والانخراط في مشاكل العالم.ولقد لعبت دوراً إيجابياً بل وحاسماً في حل العديد من الأزمات والقضايا الأخرى كما يتضـــح مـــن كـــلام جيرار شاليان. نضرب كمثال على ذلك موقفها من سياسة التطهـــير العرقـــي الإجرامـــية فـــي البوسنة والكوسوفو وقضايا أخرى عديدة أيضاً.ولكنها أخطأت بشكل أساسي في فيتنام وفلسطين.

فـــي عهـــد كلينتون كانت المبادئ التي تقود السياسة الأمريكية بسيطة جداً كانت تتمثل في نشر النموذج الأمريكي القائم على الديمقراطية والحرية في شتى أنحـــاء العـــالم وكذلـــك عولمة التبادلات التجارية والمصرفية لكي تنفتح معظم الأســـواق أمـــام البضائع الأمريكية وكان "فرنسيس فوكويان" ينظر لهذا الاتجاه

السياسي ويخلع عليه مشروعية فلسفية عن طريق الارتكاز على هيجل، فمعلوم أن هـيجل قال بأن التاريخ انتهى بانتصار نابليون في معركة (يينا) وكان يعنى انتصـار المُثل العليا للثورة الفرنسية أي الحرية، المساواة، الإخاء لقد انتصرت الحـرية على الاستبداد وانهار النظام الإقطاعي اللاهوتي القديم الذي كان يحكم أوروبا منذ مئات السنين.

وعندما وصل "جورج دبليو بوش" إلى سدنة السلطة كان ميالاً إلى النزعة الانعزالية والتفرغ لمشاكل أمريكا وعدم التدخل في شؤون العالم إلا بالحد الأدنى ولكـن ١١ سـبتمبر لـم يسمح له بذلك فبعد هذا الحدث تغيرت سياسة أمريكا وأولوياتهـا وأصبحت أمريكا أو قيادتها السياسية مقتنعة أنه لا أمان لأمريكا ما دام أعداؤها في الخارج مطلقي السراح. لقد وصلوا إليها في عقر دارها وينبغي أن تلاحقهم في عقر دارهم أيضاً وهكذا عادت فلسفة هوبز إلى الساحة من جديد وانتصـرت علـى فلسفة كانط وروسو المسالمة والأخلاقية إن القيادة الأمريكية مقتـنعة بأنـه مـع شخصيات من نوعية بن لادن وصدام وسواهما فإن سياسة الأخـلاق والقانون لا تجدي نفعاً فهم لا يفهمون إلا لغة القوة ولا يحترمونك إلا إذا كنـت أقـوى مـنهم وأشد فتكا. ولهذا السبب انتصر الصقور في واشنطن وسيطروا على مراكز القرار.

إن الاسـتراتيجية الأمريكية الجديدة هي استراتيجية كفاح وصراع فالقيادة الأمريكية تعتقد بأن المواجهة الكبرى بين قوى الخير وقوى الشر قد اندلعت وإذا كانت أمريكا واثقة من نهاية الصراع لصالحها إلا أنها تعرف أنه سيكون صعباً ومريـراً وطويـلاً ولكن بما أن قوى الخير تتمتع بتفوق عسكري وتكنولوجي سـاحق فـإن قـوى الشـر ستنهار. وبالتالي فالمحور الأساسي للاستراتيجية الأمريكية هو الشعور بالرسالة أو المهمة التاريخية. فأمريكا تعتقد بأنه يقع على كاهلهـا مهمـة إنقاذ الحضارة الغربية وهي لم تختر ذلك اختياراً وإنما واجب فـرض علـيها ومسؤولية، فلو أنها خيرت لربما اختارت العزلة وراء حدودها والعـيش بنعـيم ورفاهية بعيداً عن المشاكل ولكن الظروف أجبرتها على ذلك

وينبغي عليها أن تكون على مستوى التحدي. ولكي تنجح في أداء مهمتها الجديدة بعد أن أطاحت بإمبراطورية الشر، أي الشيوعية فإنها بحاجة إلى التصرف بكل حـــرية، بمعـــنى آخـــر فإنها ستعود إلى الميكافيلية التي تقول بأن الغاية تبرر الوســـيلة. وبالتالـــي فكل الضربات أصبحت مباحة ومشروعه بعد أحداث ١١ سبتمبر، فبما أن العدو لن يتورع عن استخدام أشد أنواع الإرهاب قتلاً وتدميراً فإن محاربته لن تكون بالمواعظ الأخلاقية ولكن هل يحق لأمريكا أن تتدخل في العالم كما تشاء وتشتهي أم أنه ينبغي عليها أن تتقيد بالقانون الدولي؟.

٢ - الهدف الأمريكي من السيطرة على الخليج:

يتضـــح الهدف الأمريكي من السيطرة على منطقة الخليج إذا ما عرفنا بأن هيمـــنة الولايـــات المتحدة كقوة عظمى وحيدة لم تكتمل بانتصارها على الاتحاد الســـوفيتي والكـــتلة الشـــيوعية القديمة إذ جاء النصر في الحرب الباردة نصراً عســـكرياً وسياســـياً حقـــق للولايات المتحدة سيطرة عالمية على مستوى هذين العنصـــرين من عناصر القوة العسكرية والسياسية ولكن يبقى الاقتصاد كضلع ثالث في هذا المثلث.

ورغـــم تسليم العالم بأن نهاية الاتحاد السوفيتي تعنى أن هناك قوة عظمى وحيدة في هذا العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية وأن النظام العالمي يتسيده هـــذا القطب الأوحد، إلا أن الأمر لم يحسم على المستوى الاقتصادي فبدا العالم أحـــادى القطبية عسكرياً وسياسياً ولكنه في الوقت ذاته متعدد القطبية اقتصادياً حيـــث ظهرت أوروبا الموحدة كمنافس اقتصادي لأمريكا وخصوصاً الاقتصاد الألماني كذلك ظهر منافسون آسيويون على رأسهم الصين واليابان.

وهكـــذا تسعى الولايات المتحدة الأمريكية أن تتسيد الضلع الثالث لعناصر القـــوة وهـــو الاقتصاد.لذا لجأت لاستخدام القوة العسكرية والسياسية كي تضمن ســـيطرة اقتصـــادية أو على الأقل ترتيب أوراق الحالة الاقتصادية العالمية بما يخدم الاقتصاد الأمريكي.

الـناظر إلـى الاقتصـاديات الـثلاثة المنافسة لأمريكا (الاقتصاد الصيني والياباني والأوروبي) لا يفوته أن يتعرف على قاسم مشترك يمثل نقطة ضعف فـي هذه الاقتصاديات. نقطة الضعف هذه تتمثل في اعتماد الجميع على بترول الخليج لإدارة ماكينة هذه المجتمعات إذ تستورد الصين مثلاً ٨٠% من بترولها مـن منطقة الخليج الشيء نفسه ينطبق على أوروبا واليابان اعتمادا شبه كامل على بترول الخليج بينما تستورد الولايات المتحدة من المنطقة ما بين ١٦% إلى ١٨% مما تستخدمه من البترول من المنطقة العربية ومن هنا يتضح أن الوجود الأمريكـي في الخليج ليس لتأمين وصول البترول إلى أمريكا بسعر مقبول كما يدعى البعض ولكن للضغط على أوروبا واليابان والصين وبذلك تستخدم أمريكا قوتهـا العسكرية للسيطرة الاقتصادية وتتحول السيطرة السياسية والعسكرية إلى سـيطرة عسـكرية واقتصـادية وسياسية. وإذا كانت هذه تشكل نواة السيطرة الأمريكـية من خلال استراتيجيتها تجاه الدول المنافسة اقتصادياً فإن التدخل في العـراق لـم يعد أمراً عادياً لتغيير نظام وإنما هو ضرورة استراتيجية تفرضها معطيات الخارطة الجيوسياسية العالمية الجديدة.

فالأمريكـيون يـرون أنفسهم الآن على حد قول أحد أعضاء مجلس الأمن القومي أنهم (حاملو راية الإمبراطورية البريطانية في الخليج).

ولكـي تـتحقق هـذه السيطرة يصبح التدخل في العراق ضرورياً ولكن المختلف هذه المرة هو عدم الاعتماد على العرب كثيراً في هذه المعادلة الجديدة بل ستعتمد أمريكا على أطراف غير عربية مثل إسرائيل والهند وتركيا ذلك لأن الموضوع ليس العراق وإنما هو خاص بأوروبا واليابان والصين كمنافسين.

لذلك نجد تململاً أوروبياً – باستثناء بريطانيا – وربما عدم القبول ورفض الحـرب ضد العراق أو أي حرب تمكن الأمريكيين من السيطرة المطلقة على بترول الخليج.

أمـا كـيف يحقق الأمريكيون هدفهم هذا فالأمر يحتاج إلى فهم التكتيكات الأمريكـية لتحقـيق أهدافهم الاستراتيجية وإذا ما أخذنا السلوك الأمريكي تجاه

بغـداد حيـث يبدو جلياً أن أمريكا اعتمدت على استخدامين أساسيين للقوة يمثل القـرار ١٤٤١ الشـق الناعم والقانوني من القوة الأمريكية، هذه القوة الناعمة SOFT POWER تتمـثل فـي محاولة إضفاء طابع عالمي على عمل فردى، بحيث يبدو التصرف الأحادي وكأنه سلوك يمثل الإجماع الدولي أما الشق الثاني مـن القـوة وهـو شق القوة الصلبة HARD POWER فهو يتمثل في وجود عسكري فعلى مثل قيادة الأسطول الخامس في البحرين ووجود القيادة المركزية التـي انتقلـت من "تامبا – فلوريدا" إلى "قاعدة العديد" في قطر إضافة إلى كل التجهيزات العسكرية المتقدمة.

فـي حالـة العراق يمكن القول إن الحرب قد بدأت بالقرار ١٤٤١ القاضي بـنزع السـلاح من العراق وقد يتصور البعض أن هذا هدفها. الحقيقة هي أن عملـية التفتيش ونزع أسلحة الدمار الشامل خصوصاً البيولوجية والكيماوية من العـراق يقـع فـي إطار ما يعرفه العسكريون بأنه حماية للقوات التي ستدخل العراق Force Protection أي أن ما ستقوم به أطقم التفتيش هو إفقاد العراق أسلحته حتى يزول الخطر في حالة الاشتباك معه أي تجريد النظام من الأسلحة البيولوجية والكيماوية هو تمهيد لضربة ولكن بنسبة خسائر أقل للجيش الأمريكي من هنا نزع السلاح ليس بديلاً عن الحرب وإنما هو بداية لها.

٣- السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط:

تـتلخص وجهه النظر الأمريكية في أنه تعانى دول منطقة الشرق الأوسط مـن مشـكلات عـده تمر بها دول المنطقة، هناك في الوضع ما يغرى بعض المراقبيـن بـالدعوة إلـى الانسحاب وترك مجتمعات المنطقة لصراعاتها لكن الحقـيقة الصـعبة هي أن الشرق الأوسط المتورط في صراعاته الداخلية يشكل خطراً على الشعب الأمريكي مثلما هو خطر على شعوب منطقة الشرق الأوسط موطـن بعض أصدقاء الأمريكيين وموقع ثلثي الاحتياطي العالمي للنفط ومنبت إرهابي ١١سبتمبر أي أن الكثير يتوقف على أوضاعه وسيكون للوقوف مكتوفي الأيدي أمامها عواقب وخيمة.

وتتلخص وجهه النظر الأمريكية أن للولايات المتحدة وأصدقائها والمجتمع الدولي في المنطقة مصلحة قوية في استعادة الأمل من خلال جدول أعمال يقوم على التصدي للإرهاب ونزع سلاح العراق والتوصل إلى السلام بين العرب وإسرائيل ودعم الإصلاح الاقتصادي والسياسي الداخلي.

وإذا كان لكل من هذه الأهداف أهميته الخاصة فيجب ألا يوضع أي منها رهينة لغيرها أو تناولها متفرقة بل علينا متابعتها كلها في شكل متزامن ومن خلال استراتيجيات متماسكة بعيدة المدى تبنى على الجهود الحالية لشعوب المنطقة وحكومتها.

٤-الحرب على الإرهاب:

بعد هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية أوضح الرئيس بوش مجدداً بما لا يقبل الشك رفضه للفكرة القائلة بأن قضية ما يمكن أن تشكل تبريراً لقتل الأبرياء وهو لم يقم بذلك باسم الشعب الأمريكي وحده بل باسم كل شعوب العالم المتحضر.

وقد نظم الرئيس بوش منذ ذلك الحين التحالف الدولي الذي حرر أفغانستان حيث قال "ونحن نواصل مع شركائنا استخدام كل الوسائل المتاحة السياسية والديبلوماسية والمالية والاستخباراتية والأمنية والعسكرية للقضاء على لعنة الإرهاب".

وقد ذكر بوش في مؤتمر حديث عن الحرب ضد الإرهاب:

"إنها حرب على العنف المتطرف وليس على العالم الإسلامي أو العربي ذلك أن إرهابي ١١ سبتمبر وبالي وأشباههم هم أعداء العرب والمسلمين لقد دنسوا ديانة عظيمة لكي يبرروا جرائمهم" "ولأصدقائنا في الشرق الأوسط مصلحة خاصة في هذه الحرب لقد عانى الكثير منهم من الإرهاب وشاهد الكل تهديده للاستقرار والمجتمع والتقدم".

تواجـــه دول المنطقة والمجتمع الدولي ككل تهديداً حقيقياً متنامياً من نظام صـــدام حسين في العراق إنه يشكل خطراً على شعبه منذ أكثر من عقدين وقاد العـــراق إلى كارثتين واستعمل السلاح الكيماوي ضد النساء والأطفال العراقيين ومارس كل ما يمكن تصوره من إرهاب.

إنه أيضاً خطر على جيرانه وقد طالبت الأمم المتحدة بغداد قبل ١١ سبتمبر بالتخلي عن أسلحتها للدمار الشامل ووافق صدام حسين على ذلك لكنه منذ ذلك الحين يواجه قرارات مجلس الأمن بالإنكار والمراوغة.

إن تحـــدي صدام المستمر لهذه القرارات شكل استفزازاً لكل أعضاء الأمم المـــتحدة. وهـــذا سبب وقوف الرئيس بوش أمام الجمعية العامة في ١٢ سبتمبر (٢٠٠٢) وتحديـــه للأمـــم المـــتحدة أن تقوم بمسئوليتها، وهو أيضاً السبب في التصـــويت الإجماعـــي من مجلس الأمن على قرار جديد صارم (١٤٤١) يقدم للعـــراق الفرصة الأخيرة لتحمل مسئولياته. إن على النظام العراقي إما التنازل عن سلاحه طوعاً أو يُنزع بالقوة الخيار أمامهم ولا مجال للتأجيل.

٥-السلام العربي – الإسرائيلي:

تـــرى الإدارة الأمريكية الإرهاب والعنف عقبتان على الطريق إلى مستقبل واعـــد خصوصـــاً بالنسبة للفلسطينيين والإسرائيليين. الطريق الوحيد إلى ذلك المســـتقبل هو إنهاء الإرهاب والعنف وليس هناك طريق آخر غير اللجوء إلى مائدة المفاوضات(وهنا خلط متعمد لأن المقاومة الفلسطينية ليست إرهاباً بل حق مشروع).

لقـــد شـــهد الصـــراع مـــا يكفـــي ويزيد من الموت ويستحق الفلسطينيون والإسرائيليون أفضل من هذا وسيكون هذا السلام الفلسطيني – الإسرائيلي بدوره جـــزءا مـــن جهد واسع نحو سلام شامل بين إسرائيل وكل جيرانها من ضمنهم سورية ولبنان يقوم على الأسس المعروفة – مدريد وقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و١٣٩٧.

إن لكل دولة في المنطقة مصلحة حيوية في هذه التسوية ولا يمكن لأي حكومة أن تتخلى عن مسؤوليتها في المساعدة. وكان هذا السبب في ترحيب الرئيس بوش بمبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله التي تبنتها قمة الجامعة العربية في بيروت عام (٢٠٠١) كما أنه السبب في رفض أي دولة تلتزم بالسلام حق إيواء مجموعات متطرفة تقوم بقتل المدنيين،فالسلام الشامل لا يمكن التوصل إليه أبدا من خلال العنف.

٦-دعم الإصلاح السياسي والاقتصادي:

وهي محاربة الإرهاب ونزع سلاح العراق والتوصل إلى السلام العربي الإسرائيلي، لكنها رغم ذلك ليست التحديات الوحيدة التي تواجهها شعوب المنطقة وقياداتها ذلك أنهم يواجهون أيضاً عوائق اقتصادية وسياسية كبرى على الطريق نحو الغد المؤمل به.

وترى التقارير الأمريكية أن الحقائق بذاتها مثيرة للقلق فالدخل الفردي في عموم الشرق الأوسط يعاني من الركود أو التراجع ويتأخر النمو حتى مع تزايد القوة العاملة ويشكل الأطفال تحت ١٤ سنة ٤٥% من سكان العالم العربي فيما سيتضاعف عدد السكان في عموم المنطقة خلال الربع الأول من القرن.

بالمقابل فإن اقتصاديات الشرق الأوسط غير مؤهلة للتعامل مع تدفق الشبيبة على سوق العمل فيما تستمر في التراجع حصة المنطقة من مجمل الإنتاج العالمي ومن التجارة العالمية والاستثمارات وتعاني غالبية اقتصاديات المنطقة من الافتقار إلى الشفافية وضعف أسواق رؤوس المال والقيود على التجارة وقوة العمل المفتقرة إلى المهارات الحديثة. وبلغ مجموع الاستثمارات التي نقلها المستثمرون المحليون إلى خارج الشرق الأوسط أكثر من تريليون دولار.

وإذا أخذنا في الاعتبار المصالح الكبرى المتوقفة على كل هذا علينا بذل كل ما لدينا (أي أمريكا) من جهد لدعم أولئك الذين يعملون لفتح اقتصادياتهم

وتوسيع الفرص أمام مواطنيهم. إن هناك أكثر من نموذج واحد للتغيير لكننا ندعو بقوة إلى تعزيز دور القطاع الخاص وتنويع الاقتصاد وتعليم الأطفال لكي يستطيعوا التنافس في الاقتصاد العالمي الحديث.

كما نساند في الوقت نفسه مساعي تعزيز المشاركة السياسية خصوصاً للنساء، والواقع أن وزير الخارجية باول اجتمع مع وفد من القيادات النسائية من أنحاء العالم العربي زار الولايات المتحدة الأمريكية لتعلم المهارات اللازمة للحملات الانتخابية والاطلاع على عمليات الانتخاب وقد أثارت حماسة وجدية القيادات النسائية الإعجاب وأعطت مثالاً حياً على ما يمكن إنجازه عند إطلاق القدرات الإنسانية الكامنة في المنطقة.

كما سنعمل مع المربين والآباء للمساعدة على تهيئة الأحداث لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين إننا ندرك الحاجة إلى إبقاء الباب مفتوحاً أمام الطلبة العرب والمسلمين بالتوافق مع متطلبات أمننا الداخلي إننا لا نستطيع ولا ننوي الاستغناء عن التعامل مع جيل بأكمله من الشباب العربي لسنة (٢٠٠٢) على مدى انشغال شعوب الشرق الأوسط نفسها بهذه القضايا.

وللولايات المتحدة من جهتها مصلحة عميقة في تشجيع هذه التغيرات البنيوية البعيدة المدى. إن غالبية هذه التحديات خارج دائرة سيطرتنا لكنها ليست خارج قدرتنا على التأثير وهنا أيضاً تبدو أهمية تقرير التنمية الإنسانية في العالم العربي لأنه يغطي المخطط العام لجدول أعمال العالم العربي إذ يحاول استعادة الأمل وبمقدورنا دعمه ونحن مصممون على ذلك.

٧- إعادة تشكيل العالم على الطريقة الأمريكية:

ركزت أطراف فاعلة منذ الساعات الأولى لأحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) الاتهام نحو العرب والمسلمين حيث تركزت الاتهامات على كل من أفغانستان والعراق، وانقسام الإدارة الأمريكية ما بين من يؤيد ضرب الدولتين مرة واحدة والفريق الآخر الذي فضل تأجيل العراق والبدء بأفغانستان.

ويتضح ذلك من صقور الإدارة الأمريكية وعلى رأسهم "ديك تشيني" نائب الرئيس الأمريكي الذي عين في مقدمة مستشاريه في تلك المرحلة "برنارد لويس" المعروف بأفكاره المعادية ضد كل ما هو عربي وإسلامي وجعله عضواً دائماً في كل اجتماعاته.

أما "كوندا ليزا رايس" مستشارة الرئيس الأمريكي للأمن القومي فقد ركزت في تصريحاتها ومناقشاتها منذ إبريل (٢٠٠٢) على أن النظام الدولي أصبح في حالة سيولة منذ انهيار القوة السوفيتية، والآن من وجهة نظرها فترة من الفرصة الضخمة فترة قريبة الشبه بما جرى عالمياً بين سنتي ١٩٤٥ و١٩٤٧ طبقاً لوجهة نظرها عندما وسعت القيادة الأمريكية قاعدة الدول الحرة والديمقراطية واعتبرت اليابان وألمانيا هنا نموذجا لخلق توازن جديد للقوى لصالح الحرية، أي بمعنى أنها فرصة أمام الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة تشكيل العالم على هواها ولحسابها وهو ما ورد تفصيلاً بعد ذلك في استراتيجية الولايات المتحدة للأمن القومي والذي جرى نشرها في العشرين من سبتمبر (٢٠٠٢).

وفي الحقيقة فإن الإدارة الأمريكية الجديدة منذ وصولها إلى السلطة في يناير (٢٠٠١) وهي تتحرك منهجياً لتغيير الهيكل العام لكل السياسات الدولية فمنذ البداية:-

- قطعت المفاوضات التي أجرتها إدارة بيل كلينتون السابقة بنجاح مع كوريا الشمالية.
- جمدت دورها في المفاوضات المتعثرة بين إسرائيل وسلطات الحكم الذاتي الفلسطيني.
- اتجهت إلى الانسحاب من طرف واحد من معاهدة ١٩٧٢ مع موسكو لتثبيت التوازن الصاروخي الإستراتيجي.
- رفضت بروتوكول كيوتو للبيئة.
- أوقفت سلسلة من المعاهدات الدولية للحد من التسليح.

- دعت إلى إقامة نظام جديد للدفاعات الصاروخية في الفضاء.

وباختصـــار فإن الرئيس بوش والإدارة الأمريكية الحالية سعت منذ البداية إلى قلب القواعد التي حكمت الحياة طوال الأعوام الخمسين الماضية.

لم يأت كل هذا من فراغ فقبل عشر سنوات حينما كان تشيني وزيرا للدفاع وبـــول وولفويـــتز مساعدا له في عهد الرئيس جورج بوش الأب حاول الاثنان وضـــع عناصـــر عقيدة أمريكية جديدة لعالم جديد تكون واشنطن مركز قيادته والســـيطرة عليه وعندما جاء جورج بوش الابن إلى السلطة ومعه "ديك تشيني" نائبا له و"ولفويتز" نائباً لوزير الدفاع بدأ استكمال عناصر العقيدة المؤجلة، دخل جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض بشرعية سياسية ناقصة ومثيرة للجدل وهو ما جعله رهينة في يد أكبر مجموعتين من أقوى المصالح النافذة في الصناعات العســـكرية وهذه المجموعة الأخيرة هي نفسها التي كان الرئيس الراحل "دوايت إيـــزنهاور" حذر في خطابه الرئاسي الأخير من خطورة سيطرتها على السياسة الأمريكية قبل ٤٠ عاماً.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر كانت هناك فرصة كبرى للتعجيل بصهر العناصر المـــتفرقة الســـابقة فـــي عقيدة واحدة شاملة خصوصاً أن مواجهه تلك الأحداث وعواقـــبها تعطى للرئيس بوش شرعية كاملة بديلاً من الشرعية الناقصة سياسياً وحتى صباح ١١ سبتمبر كانت هناك ملفات جاهزة منفصلة عن بعضها بعضاً. ولكـــل ملـــف دواعيه وملابساته وعوامله الحاكمة ملف لأسامة بن لادن وتنظيم القـــاعدة وملـــف لأفغانســـتان وثالـــث للعراق ورابع لكوريا الشمالية وخامس لإيـــران... إلخ فقط بعد الساعات الأولى لأحداث ١١ سبتمبر أصبح ممكناً دمج كـــل تلك الملفات معاً والانطلاق منها إلى صياغة العقيدة الجديدة الشاملة تحت عـــنوان حـــرب عالمـــية ضد الإرهاب مع إصرار أمريكي على ترك تعريف الإرهاب مطاطاً بما يسمح للإدارة بإضافة أهداف جديدة وتشكيل تحالفات جديدة في كل مرحلة.

روسيا مثلاً كانت مهمة في تسهيل غزو أفغانستان لكن لمجرد انتهاء الحملة العسكرية الأمريكية لم يجد الرئيس الأمريكي بوش كلمة شكر واحدة يوجهها لروسيا في خطابه عن (حالة الاتحاد) ولم يشكر أيضاً دولاً أخرى بخلاف باكستان (باكستان نفسها مؤجلة لمرحلة تالية) وإيران التي كانت مساعدتها حيوية لتشكيل الحكومة الجديدة في أفغانستان أصبحت مستبعدة بالكامل في المرحلة التالية بل وجزءاً من (محور الشر) المعلن أمريكياً، السعودية التي جرى الإلحاح عليها للمساهمة مالياً في تعمير ما خربته ودمرته أمريكا في أفغانستان أصبحت مستهدفة إعلامياً وسياسياً حتى تذعن للمرحلة التالية من (عقيدة بوش)، مصر التي تعاونت مع أمريكا لمكافحة الإرهاب قبل ١١ سبتمبر وأثناءه وبعده أصبح أقل كاتب أمريكي يهددها بين صباح وآخر بقطع المعونة الأمريكية عنها إذا لم تصبح جزءاً من الحلف الجديد، العراق الذي كان ملفه مؤجلاً في الصباح التالي لأحداث ١١ سبتمبر جرى الالتفات إليه بتركيز شديد باعتباره الهدف المُلح التالي مباشرة.

جرى مبكراً في الإعداد لتلك المرحلة تسريب معلومات لربط العراق بتنظيم القاعدة وأسامه بن لادن بدءا بمقابلة قيل إنها جرت بين مسؤول في السفارة العراقية في براج وأحد المنسوب إليهم إرهاب ١١ سبتمبر وهكذا توالت الاستعدادات والتخطيط لتنفيذ الحملة العسكرية المقررة على العراق.

لم تكن الإدارة الحالية تتعامل برعونة مع معارضيها فقط وإنما تتعامل بخشونة غير مسبوقة مع الكونجرس أيضاً. في البداية قالت إنها ليست محتاجة إلى تفويض جديد من الكونجرس بشن الحرب على العراق وبعدها بدأت بوضع الشرط تلو الآخر لتذهب إلى الكونجرس.وفي ذهابها رفضت حتى في الاجتماعات المغلقة إعطاء أي معلومات أو أسباب حقيقية تفسر لماذا يصبح العراق الآن – وهو تحت الحصار الصارم منذ ١٢ سنة – خطراً لم يكن عليه أبداً قبل سنوات.

اتبعت الإدارة الأمريكية نفس الأسلوب في التعامل مع مجلس الأمن والأمم المتحدة وبعد شهرين من المساومات الدولية نجحت الإدارة فعلاً في استخراج القرار ١٤٤١ تريد أن تحصر صدام حسين بين خيارين:

الأول: إما أن يقر بأنه مذنب فيحق عليه الهجوم وعلى بلده الدمار.

الثاني: أن يرفض تقديم الأدلة على أنه مذنب فيحق عليه أيضاً وعلى بلده الدمار لأنه غير متعاون مع الأمم المتحدة.

وبينما كانت تدق أمريكا طبول الحرب ضد العراق فإنها أنذرت العالم كله بملفاتها التالية الجاهزة مسبقاً هناك إيران وكوريا الشمالية وليبيا والسودان ولبنان، كل من مدخل مختلف. هناك بالموازاة سباق جديد للتسلح تفرضه واشنطن في الفضاء بحجة أن هذا يجعل أمريكا أكثر أمناً.

رابعاً: أهداف ومواقف الأطراف المؤيدة والمعارضة للحرب:

يمكن الوقوف على حقيقة الأهداف الأمريكية من حربها على العراق من مراجعة السياسة الأمريكية خلال الفترة الماضية للوصول إلى أهداف الحملة والتي يعتقد أنها تهدف إلى:-

١-التطلع إلى احتلال منابع النفط الذي دخل طوراً نوعياً عام ١٩٧٤ عندما بدأ النقاش لتعديل مبدأ نيكسون الذي يقضي بعد حرب فيتنام بعدم إرسال القوات الأمريكية إلى المناطق المتفجرة في العالم، والعمل على إحداث استثناء لهذا المبدأ يتعلق بمنطقة الخليج حيث تجسد هذا الاستثناء بمبدأ كارتر عام ١٩٧٧ ، ووضع آلية تتمثل بقوات التدخل السريع للسيطرة على تأمين منابع البترول.

٢-مخطط استراتيجي للشرق الأوسط من ثلاثة أهداف هي:

- قوة وأمن وتفوق إسرائيل.

- السيطرة على منابع النفط وطرق إمداده ووصوله.

- إقامة نظام إقليمي جديد.

٣-تأمين القيادة المنفردة للولايات المتحدة سياسياً وعسكرياً وتكنولوجيا واقتصادياً للعالم وفرض سياسة العولمة التي تصب في اتجاه هذا التأمين، وفي اتجاه استثمار التفرد الدولي لتحقيق مصالحها الخاصة والمستقبلية، عولمة تقوم على أحادية القيادة أو القطبية الأمريكية وعلى الفوارق بين الشمال والجنوب والتغاضي عن القيم والتحديات الإنسانية على أساس أولوية المصالح الأمريكية وطبقا لسياسة تهدف إلى:-

- عدم السماح لأي طرف أو قوة في العالم باللحاق بالولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً أو تكنولوجياً.

- إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حقا بالدور العالمي.

- للولايات المتحدة الحق في توجيه الضربات الاستباقية.

- فرض القيم الأمريكية عالمياً.

من الواضح أن العمل بهذه الأسس يعنى الشيء الكثير، حصر الموقف من الحلفاء وإضعافهم وإضعاف ميثاق الأمم المتحدة بصورته الحالية، وفرض الدور العالمي مباشرة وباستخدام الأمم المتحدة بصورة جديدة والقيام بضربات مستقبلية، وفقاً للرؤيا الخاصة وخياراتها وفرض القيم السياسية والاقتصادية والثقافية والنظرة للقضايا الإنسانية ارتباطاً بالمعنى الذي تقرره الولايات المتحدة الأمريكية

الأهداف الأمريكية:

في إطار هذا التقديم المختصر نأتي إلى حقيقة أهداف الولايات المتحدة من حربها على العراق وهي:-

١ – الأهداف العالمية

الهـــدف الجيواستراتيجي ويتضمن تأمين منظومات سياسية إقليمية مختلفة مرتبطة بالسياسة الأمريكية وتواجداً عسكرياً وأمنياً وتأمين مصالحها بما يحقق الأغراض الأساسية التالية.

- تفوق الولايات المتحدة المطلق.
- قيادتها المنفردة للعالم سياسياً وعسكرياً وتكنولوجياً واقتصادياً.
- قطـــع الطـــريق علـــى القوى المؤهلة لتشكيل قوة عالمية عظمى وعلى تحالفاتها

والقـــوى المؤهلـــة من منظور أمريكي هي ((أوروبا –روسيا– الصين – اليابان – الهند))

- تشكيل منظومات سياسية إقليمية موالية وهي:–
- جنوب المحيط الهادي ووسط آسيا.
- الشرق الأوسط.
- منظومة داخل أوروبا.
- أمريكا اللاتينية.
- أفريقيا.

٢ –الهدف الإقليمي الخاص بالشرق الأوسط

– **تشـــكيل نظـــام إقليمـــي جديد** من المغرب إلى الباكستان ينطوي على مـــنظومة سياسية جديدة بكل محتوياتها مع نظام أمني يضمن وجودا أمريكيا في مواقع محددة كما يضمن المصالح الأمريكية السياسية والاقتصادية والأمنية مع العمل على حل قضية الشرق الأوسط.

٣- هدف نفطي

الرغبة في الانفراد بالسيطرة على بترول الشرق الأوسط الذي يشكل أكبر احتياطي استراتيجي للنفط في العالم وبالقطع يصبح البترول العراقي هدفاً هاماً حيث إنه يشكل ثاني احتياطي للنفط في المنطقة بعد السعودية في العالم. بل لا يقتصر الهدف الأمريكي على السيطرة على بترول الشرق الأوسط بل وبترول الدول الإسلامية الآسيوية التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق أو التي ما زالت تحت ظله لتحقيق بذلك السيطرة على أركان الاقتصاد العالمي لأهداف اقتصادية وسياسية واستراتيجية وفي مقدمة هذه الأركان الطاقة ومصادرها والنفط على وجه الخصوص.

٤- هدف مالي

تعد الولايات المتحدة برنامجا ضخما لتطوير إمكاناتها الاستراتيجية في ظل أهدافها للسيطرة على العالم والتفوق وهذا البرنامج يحتاج ما لا يقل عن ٥٠٠ مليار دولار إضافية حيث تضاعفت الحاجات الأمريكية نتيجة للإخفاقات والتعثر والفساد من الاقتصاد الأمريكي ونتيجة أيضا للبرامج الطموحة للتطوير الاستراتيجي والأمني من أجل تحقيق التفوق والسيطرة. وهذا الأمر يعنى أن العالم معرض إلى مزيد من عمليات الابتزاز.

-المجتمع الدولي ومرحلة التصعيد السياسي الأمريكي

شهدت هذه الفترة حشداً عالمياً على المستوى الشعبي والرسمي الدوليين معارضاً لشن حرب ضد العراق فعلى المستوى الشعبي تزايدت المظاهرات يوماً بعد الآخر في كافة عواصم العالم منددة بالخطة الأمريكية والحشد العسكري تمهيداً للغزو هذا على المستوى الشعبي العالمي أما على المستوى الرسمي الدولي فلكل دولة أسبابها الخاصة للمعارضة.

فألمانـــيا وفرنســـا الدولتان المهمتان في الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي على سبيل المثال، تعارضان حرباً تخوضها الولايات المتحدة من دون التشاور معهـــا لخشيتهما انفراد واشنطن بقيادة العالم وتشعران بأنهما منذ انهيار الاتحاد الســـوفيتي وانـــتهاء الحرب الباردة اضمحلت أهميتهما الاستراتيجية بعدما كانتا (الـــبوابة الشـــرقية) لحلـــف الأطلسي، كما أن موقف ألمانيا وفرنسا المعارض للحـــرب علـــى العـــراق تشـــكله عوامل اقتصادية فهاتان الدولتان تدركان أن شـــركاتهما لـــن تحظـــى بعقـــود مماثلـــة لما ستحظى به الشركات الأمريكية والإنجلـــيزية في العراق ما بعد صدام، بل إن كثيرا من الشركات الفرنسية مثل "توتـــال" والتـــي تعاقدت على تنفيذ مشاريع نفطية كبيرة في العراق خلال العقد الأخـــير تـــتوقع أن تخســـر هـــذه العقود لشركات أمريكية إضافة إلى الخسائر الاقتصادية والاستراتيجية كما تخشى الدولتان أن يكون السلوك الأمريكي بتغيير نظام بالقوة نمطاً لتغييرات مقبلة أخرى بالقوة من دون اعتبار لمرجعية شرعية دولية وذلك خدمة لمصالح استراتيجية أمريكية.

أمـــا روسيا فتعتبر من أكثر الدول المتضررة من التغيير في حكم العراق فالعـــراق مديـــن للاتحاد السوفيتي بحوالي ٨ بلايين دولار معظمها قيمة أسلحة دمـــرت أثناء حرب تحرير الكويت وللنظام العراقي علاقات اقتصادية وسياسية مـــع روســـيا خاصـــة فـــي مجال النفط ممتدة من القيادة الروسية الحاكمة إلى معارضـــيها، كمـــا أن للـــتقارب الروســـي – العراقـــي فوائده المادية للطرف الأول.فالشركات الروسية تحصل على بليون دولار على دورها كوسيط في بيع الـــنفط العراقـــي ضـــمن برنامج النفط مقابل الغذاء، هذا عدا مبالغ أكبر تحققها الشـــركات الروســـية من مبيعاتها لمواد ومعدات للعراق ولابد أن تكون خشية روســـيا أكبر من ألمانيا وفرنسا من أن تخسر السوق العراقية عند تغيير النظام العراقي فالأخيرتان يمكن أن تنافسا الشركات الأمريكية على المدى الطويل في هـــذه الســـوق لجـــودة منتجاتهما، لكن الأمل ضعيف بأن يتحقق ذلك للشركات الروسية.

أمـــا بالنسبة إلى الصين فهي تعارض أيضاً السياسة الأمريكية التي تهدف للهيمـــنة علـــى العـــالم وعلى الطاقة وبحكم علاقاتها السياسية والاقتصادية مع العراق ولكن في نفس الوقت هناك بعض الدول وعلى رأسها بريطانيا تؤيد هذا التصـــعيد الأمريكـــي تجـــاه العراق وذلك لأهداف ومصالح تخص هذه الدول. وخاصـــة بريطانيا التي ما زالت تتأرجح بين اندماجها في الاتحاد الأوروبي أو الســـير في ركاب الولايات المتحدة واحتفاظها بهذه العلاقة الخاصة التي تجعل مـــنها الكثير. وهناك أيضا تلك الدول المستقلة حديثا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ورغبتها في الاندماج في المجتمع الغربي والاستفادة من الإمكانيات الاقتصادية والسياســـية لتحســـين وتطوير إمكاناتها والسعي لمستقبل أفضل. وسيقتصر هذا التحليل على بعض الدول والقوى المؤثرة على سير ونتائج هذه الأزمة الخطيرة التي قد تعيد تشكيل النظام الدولي في المستقبل القريب.

- قوى التحالف والدول المؤيدة للحرب ضد العراق:

الولايات المتحدة الأمريكية:

هـــذا ومـــع أن الرئيس بوش قد حصل على تفويض من الكونجرس بشن الحـــرب علـــى العـــراق، سبقه تجانس أكبر في رؤى حكومته ومستشاريه فإن الأعـــلام الأمريكي والصحافة بالذات أظهرت موقفاً معارضاً قوياً للحرب حتى أنـــه بـــدا أن الصـــحافة الأمريكـــية أخذت دور ممثلي الشعب غير الرسميين المعارضين للحرب بعدما أعطى ممثلو الشعب الرسميون (الكونجرس) تفويضاً للرئـــيس بشن الحرب، فقد شهدت الأسابيع الأخيرة في الصحافة الأمريكية سيلاً من التحليلات المناهضة للحرب وأرسلت معظم الصحف الأمريكية مراسلين إلى بغداد وأرسل هؤلاء تقارير تصور بالتفصيل الحالة الصعبة التي يعيشها الشعب العراقـــي، ومدى قسوة النظام الذي يرزح تحته إلا أن معظم التحليلات انصبت على مدى جسامة الخسائر في الأرواح التي ستصيب الأمريكيين في حال نشوب حرب وتأثير ذلك في الرأي العام الأمريكي.

الموقف البريطاني:

عـندما يناقش المحللون السياسيون أزمة العراق فإن مناقشتهم تتركز على الـدور الأمريكـي في الدعوة إلى الحرب وعلى الدور الفرنسي والروسي في معارضـتها ولكـن بالنسبة للدور البريطاني فإن غالبية التحاليل السياسية تدرج الموقـف البريطاني ضمن مناقشتها للموقف الأمريكي وتقوم بتهميشه وبعضها يتجاهله بشكل نهائي ويتعامل مع الموقف الأمريكي وحده.

وتتضـح هذه المسألة سواء تأملنا في التحليلات البريطانية التي تتعامل مع الأزمة والمشكلة العراقية وكأنها أزمة تعنى القيادة الأمريكية وحدها وفيما يتعلق بصـدام فيمكن القول بأن بريطانيا تبدو أحياناأكثر حماسا وحرصا من واشنطن علـى مواجهة النظام العراقي ومحاربته. فأثناء الحرب العراقية الإيرانية وبينما كانـت واشـنطن تقوم بدعم صدام فإن لندن رفضت دعم العراق أو على الأقل كانـت أقـل حرصاً على دعمه من واشنطن ولقد شهدت الثمانينات من القرن الماضـي بعـض مظاهـر الـتوتر بين بغداد ولندن بسبب لجوء بعض فئات المعارضـة العراقـية إلـى لندن وانتقاد وسائل الإعلام البريطانية لنظام صدام وتوجـيه تهمـة التجسـس من قبل العراق لمراسلي بعض الصحف البريطانية إضـافة إلـى قضـية المدفع العملاق حيث أفادت المصادر الرسمية البريطانية بإحباطها محاولة العراق الحصول على فوهة فولاذية طويلة لمدفع عملاق يصل مـداه إلـى أضعاف مسافة المدفع العادي، وفي أعقاب احتلال العراق للكويت كانـت رئيسة الوزراء البريطانية "مارجريت تاتشر" أول من سارع إلى رفض الاحـتلال وكان لاجتماعها التاريخي بالرئيس جورج بوش الأب تأثير كبير في اتخاذ واشنطن قرار الحرب ضد صدام، والذي ساهمت به بريطانيا بشكل فعال ومنذ ذلك التاريخ والقوات البريطانية تعمل جنباً إلى جنب مع القوات الأمريكية فـي الخلـيج لفـرض العقوبـات الدولية على العراق.ولقد قدم رئيس الوزراء البريطانـي في أكثر من مناسبة معلومات دقيقة عن أسلحة الدمار الشامل التي يملكهـا العراق وعن الأخطار التي يمكن أن تنجم عن استخدامه لها ولقد ازداد

الموقـف البريطاني قوة وحماساً في دعمه للسياسة الأمريكية في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر خاصة فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب والدعوة للحرب ضد العراق.

ولتدعـيم الموقـف الأمريكـي ضد العراق قدم توني بلير في أواخر شهر سبتمبر (٢٠٠٢) الماضي إلى مجلس العموم البريطاني أدلته الشهيرة ضد صدام حسين والتي أوضح فيها أن العراق سيكون قادراً على إنتاج سلاح نووي خلال عـام أو عامين وأنه حصل على كمية كبيرة من اليورانيوم من أفريقيا وغيرها، وان الرئـيس العراقـي لا يزال حريصاً على تطوير أسلحة الدمار الشامل وأن بإمكانـه الآن نشر أسلحته البيولوجية والكيماوية في مدة تقل عن الساعة ومنذ صدور ذلك التقرير بدأت طبول الحرب ضد العراق تقرع من جديد في واشنطن وارتفعـت أصـوات المعارضة الفرنسية والروسية والصينية وهددت واشنطن عندئذ بالقيام بنزع أسلحة العراق سواء قبلت الأمم المتحدة بالشروط الأمريكية أم لم تقبل، ولكن بريطانيا سارعت إلى تهدئة واشنطن وسعت إلى تقريب وجهات الـنظر المتبايـنة ونتج عن ذلك صدور قرار مجلس الأمن الأخير الذي وضع الـنظام العراقـي أمام تحديات فعلية لأول مرة منذ تحرير الكويت، ومن خلال الـتأمل فـي هذا الموقف البريطاني تجاه العراق يرتبط بسياسة بريطانية وهو بالتأكـيد موقف لم يتخذ فقط لمجرد إرضاء واشنطن وكذلك تؤيد وتدعم أمريكا موقفهـا الرسـمي لقولهـا أن العـراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل وأنه يسعى لتطويرها وأن لديه القدرة والرغبة في استخدامها. كما تدعم لندن رؤية واشنطن الخاصة ببناء علاقة فرضية وفعلية بين القاعدة والعراق.

وفـي حيـن أن بعض الدول الأوروبية التي تدعم الموقف الأمريكي ضد العراق مثل إيطاليا وأسبانيا تعتمد على المعلومات والوثائق الأمريكية التي تدين العـراق، فـإن بريطانـيا تعـتمد فـي بناء موقفها ضد العراق على معلومات الاسـتخبارات البريطانية دون الاكتفاء بمعلومات CIA وإضافة إلى ذلك، فإن واشـنطن نفسها تعتمد على تقارير الاستخبارات البريطانية عن العراق لتدعيم موقفها ضد صدام سواء بداخل أمريكا أم على الصعيد الدولي، وقد يكون تحالف

بريطانـيا الاستراتيجي الطويل مع أمريكا إضافة إلى قناعة لندن بخطر امتلاك صـدام لأسـلحة الدمار الشامل هو السبب الفعلي وراء الموقف البريطاني في العراق.

لقد اقترحت لندن ستة شروط لإدراجها كتعديل للاقتراح الثلاثي الذي قدمته كل من أمريكا وإنجلترا وأسبانيا والذي لم يكن من الممكن أن يحصل على عدد الأصوات الكافي لتمريره وذلك التعديل يهدف استصدار قرار ثان يسمح باللجوء للقـوة الشيء الذي كانت تحتاجه بريطانيا لإرضاء البريطانيين وموافقتهم على الاشتراك في الحرب كما أعلنت أنها ستشارك في الحرب ردا على الملاحظات التـي أبداهـا وزيـر الدفاع الأمريكي بخصوص احتمال عدم اشتراك إنجلترا ودخول أمريكا الحرب منفردة.

وأبدت بريطانيا عزمها على التوصل إلى قرار ثان، ودعت في الوقت ذاته كـلا من روسيا وفرنسا إلى ((إعادة النظر)) في قرارهما استخدام حق النقض (الفيتو) داخل مجلس الأمن. وأصرت على أنها مستعدة لشن حرب على العراق.

والشروط الستة هي:-

١- أن يعلن الرئيس العراقي أن في حوزته أسلحة دمار شامل مخبأة وأن يتعهد بتدميرها.

٢- السماح لـ ٣٠ من كبار علماء الأسلحة العراقيين بالتوجه إلى قبرص لكي يقابلوا مفتشي الأسلحة الدوليين.

٣- إعطاء توضيحات لمخزون عصيات الجمرة الخبيثة (إنثراكس) الذي يعتقد أنه في حوزته والتدمير الفوري لعشرة آلاف لتر من الإنثراكس وغير ذلك من المواد الكيماوية والبيولوجية التي يعتقد أن العراق لا يزال يمتلكها.

٤- التعهد بتدمير الصواريخ المحظورة.

٥- تقديـم معلومات وتوضيحات عن طائرة من دون طيار بنى العراق نموذجا لها واكتشفها المفتشون الدوليون. وتشتبه لندن وواشنطن في أن هذه الطائرة قادرة على نشر مواد كيماوية وبيولوجية.

٦- تسليم المفتشين المختبرات النقالة لإنتاج مواد بيولوجية لتدميرها.

الموقف الأسباني:

قـدم السـيد "خوسيه ماريا أثنار" رؤيته عن الأزمة العراقية الأمريكية من خلال ما كتبه في جريدة الحياة ٢٠٠٣/٣/١٥ التي توضح وجهة النظر الأسبانية من تأييدها للولايات المتحدة وأهم ما تضمنته:

- أن مـرور أكثر من ثلاثة أشهر على مصادقة مجلس الأمن على القرار ١٤٤١، وهـو القرار الذي يتيح أمام نظام صدام حسين الفرصة الأخيرة لنزع أسـلحته كمـا يطالـبه بذلك المجتمع الدولي منذ حوالي ١٢ عاماً، فإن النظام العراقـي يواصل نهجه القاضي بعدم القيام بواجباته المتعلقة بنزع أسلحته وأن الرئيس صدام حسين لا يزال يتلاعب تلاعباً متزايد القسوة بالمفتشين وبالمجتمع الدولي.

- أن القرار ١٤٤١ يشكل مطالبة المجتمع الدولي صدام حسين بالتخلي عن أسـلحة الدمار الشامل الحالية والمستقبلية، كما أن القرار نفسه يشير إلى أن هذه الفرصـة هي الفرصة الأخيرة أمام العراق للقيام بعملية نزع أسلحته لو كان نفذ ما طلب منه وقام بواجباته لكان بإمكان المفتشين ملاحظة ذلك والإشارة إليه في فـترة قصـيرة من الوقت. وهذا ما حدث في عمليات نزع الأسلحة التي تمت طواعية في كل من أوكرانيا وروسيا البيضاء وكازاخستان وفي جنوب أفريقيا. كان أمام العراق حوالي ١٢ سنة للقيام بهذا الإجراء إلا أنه اختار نهج مواصلة بـرامجه الخاصـة بتطوير أسلحة الدمار الشامل عن طريق التهديدات والتستر والكذب.

- أن نـــزع أسلحة الدمار العراقية والتوصل إلى إحراز تقدم في الصراع العربي – الإسرائيلي هما أهم التحديات التي يواجهها المجتمع الدولي وأكد على مشـــاركة أسبانيا وكما شاركت في قضية الشرق الأوسط في مؤتمر مدريد فلن تدخر جهدا في تحقيق هذين المقصدين.

القوى المعارضة للتوجهات الأمريكية في استخدام القوة:

الموقف الفرنسي:

تعلقـــت آمـــال الكثيرين في مطلع الأزمة العراقية بمواقف روسيا والصين وفرنســـا ومعارضـــتها للسياسة الأمريكية ومشروع الحرب، وكان ذلك طبيعياً فالدول الثلاث هي قوى عالمية رئيسية تتمتع بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن وبحـــق الفيـــتو، ولكن ما أن تصاعدت الأزمة حتى فقد معظم العرب ومعسكر مناهضة الحرب الكثير من الاطمئنان للموقفين الروسي والصيني وبرزت فرنسا وألمانـــيا باعتـــبارهما القوى الأكثر جدية وتماسكاً في وقوفهما في وجه الهيمنة والابتزاز الأمريكيين فبالرغم من أنه لم تزل المواقف المعلنة في موسكو وبكين صـــريحة فـــي معارضة الحرب على العراق ولكن الواضح أن مواقف الروس والصـــينيين تستند إلى المواقف الفرنسية والألمانية أكثر مما هي مواقف مستقلة وثابـــتة، ما فاجأ العالم وليس العرب فقط كان المحور الفرنسي – الألماني الذي تقوده فرنسا أساساً ويصطف خلفه عدد من الدول الأوروبية الأصغر وتستظل به روســـيا والصـــين وكذلك لقد لعب الفرنسيون دوراً هاماً، دوراً بالغ الأهمية في الحقيقة في تعديل مشروع قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ بحيث أصبح للمراقبين ولمجلس الأمن الحق في تقدير الموقف العراقي ومدى تعاونه واستعداده للتخلص من أسلحة الدمار الشامل وليس لدولة ما أو مجموعة دول خارج نطاق المؤسسة الدولـــية، وبالـــرغم من الضغوط الأمريكية الهائلة وقيام بريطانيا بمناورة شق الصـــف الأوروبـــي وقـــيادة معسكر موال لواشنطن فقد استمرت فرنسا تقاوم التحركات الأمريكية المتسارعة نحو الحرب. تدرك فرنسا أن الأهداف الأمريكية

من الحرب تتجاوز هدف نزع أسلحة الدمار الشامل إلى الإطاحة بالنظام العراقي واحـــتلال العراق والسيطرة على مقدراته بل وتتجاوز العراق لتطال كل منطقة الشرق الأوسط.

خشـــية فرنسا من الهيمنة والسيطرة الأمريكية على الشرق الأوسط والشأن العالمي هي خشية حقيقية ورغبة فرنسا في كبح جماح الهجوم الأمريكي وتعزيز الموقف الأوروبي المستقل عن واشنطن هي أيضاً رغبة حقيقية ولكن فرنسا لا تستطيع أن تقول لا مطلقة ونهائية لواشنطن فمثل هذا الموقف يعنى الذهاب إلى صـــراع طويل المدى مع السياسة الأمريكية صراع لا تريده باريس ولا تسعى إلـــيه بل إن توازنات القوى العالمية الراهنة لا تسمح به ولذا فقد تبلور الموقف الفرنســـي مـــن خـــلال تأييد المطالب الأمريكية في نزع سلاح الدمار الشامل العراقـــي والتأكـــيد على أن يتم هذا من خلال قرار دولي وإطار مجلس الأمن والأمـــم المتحدة ويضيف الفرنسيون (وهذا ما عملوا على إبرازه في القرار رقم ١٤٤١) أن المراقبين هم قضاة المحفل الدولي، أي هم من يقدر مدى الاستجابة العراقية وليس واشنطن. إن جاءت تقارير المراقبين لتعكس موقفاً عراقياً سلبياً، يـــؤدى إلـــى اعتبار العراق في وضع انتهاك مادي لقرار مجلس الأمن، فعندها يمكـــن للمجلـــس إصـــدار قرار جديد يشرع لاستخدام القوة. وهنا تنبع مخاطر الموقف الفرنسي.

وعلى هذا يمكن القول إن مساندة الموقف الفرنسي في رفضه لنزع أسلحة التدمـــير الشـــامل المـــزعومة تعـــتمد في الأساس على مدى تعاون العراق مع المفتشين وحتى لا تقر تقارير رؤساء لجان التفتيش بعدم تعاون العراق أو إخفائه معلومـــات عن فرق التفتيش أو تقاعسه في مطالب فرق التفتيش كما ساعد في قـــوة الموقف الفرنسي كونها من الدول الخمس دائمة العضوية ولها حق الفيتو وقـــد اتخذت موقفا فاعلا إزاء المناورات الأمريكية البريطانية لاستصدار قرار ثـــان يسمح بالحرب وكان للموقف الفرنسي الشجاع أثره في جذب التأييد وعدم نجاح أمريكا في تمرير المشروع الثلاثي حتى بعد التعديل البريطاني في الدرجة

التي قرروا فيها سحب المشروع. وقد أعلنت فرنسا أنه في حالة نشوب الحرب واستخدام العراق لأسلحة التدمير الشامل ستغير فرنسا موقفها بل ستشارك في هذه الحرب كما أعلنت أنها ستشارك في المساعدات الإنسانية فقط.

الموقف الألماني:

لم يختلف الموقف الألماني كثيراً عن الموقف الفرنسي في معارضة الهيمنة الأمريكية على الأحداث في العالم وإخضاعها دول العالم المختلفة لسيطرتها ولتحقيق مطامعها ومصالحها في آن واحد، فألمانيا دولة أوروبية لها ماضيها التوسعي ولها تطلعاتها هي الأخرى لولا هزيمتها في الحرب العالمية الثانية والتكتل الدولي لحصارها وتحجيم دورها، إلا أنه ومع المتغيرات العالمية التي حدثت عام ١٩٩٠ وإزالة سور برلين وتوحيد شطري ألمانيا تتطلع ألمانيا إلى إعادة أمجاد أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ووجدت في فرنسا حليفا لها لزعامة أوروبا الموحدة واتفقا منذ حوالي عشر سنوات على إقامة قوة انتشار سريع أوروبية خاصة بعيدة عن حلف شمال الأطلسي وبهدف عودة المكانة والدور الأوروبي إلى سابق عهده، ويمكن القول أنه لولا الانحياز البريطاني لجانب الولايات المتحدة الأمريكية لعادت لأوروبا مكانتها السابقة صاحبة الإمبراطوريات والتوسعات في كافة أنحاء العالم.

من هذا المنطلق يمكن القول إن الموقف الألماني يعتمد بالأساس على إعطاء مهلة كافية للمفتشين لنزع أسلحة التدمير الشامل إن وجدت، والحل السلمي للمشكلة، وتعارض ألمانيا أيضاً الولايات المتحدة الأمريكية خاصة فيما يلي:-

١-الهيمنة الأمريكية على مسار الأحداث العالمية وتحقيق حلول تتفق مع مصالحها فقط وليس طبقاً لمصالح شعوب العالم المختلفة.

٢-تخوف ألماني وهي من أكبر ثلاث أو أربع دول صناعية في العالم من إحكام سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على منابع البترول في أرجاء العالم

المختلفة مما قد يضعف القدرات الاقتصادية لكل من ألمانيا وفرنسا ووضعهما تحت رحمة الولايات المتحدة الأمريكية وما تسمح به.

٣-تطلعات ألمانيا للعائدات الاقتصادية من استمرار تعاونها مع العراق في إطار تخوفها من الهيمنة الأمريكية على منطقة الخليج وحرمان الدول الأوربية التي لا ترضخ للولايات المتحدة الأمريكية لسيطرتها.

٤- تحقيق المكانة الأوروبية المناسبة كقوة عظمى تقف على قدم المساواة والمنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية وربما تكون أزمة العراق بداية لتحقيق هذا الهدف المنشود

روسيا والأزمة العراقية الأمريكية:

تعتبر روسيا من الدول ذات العلاقات الوطيدة مع العراق ضمن الدول العربية التي كانت ذات علاقة مع الاتحاد السوفيتي السابق، وروسيا كانت من أكبر الدول المصدرة للسلاح للعراق، بل وكان للحزب الشيوعي العراقي دور كبير في توطيد هذه العلاقة.ويعود ذلك بالأساس لأن العراق كانت البوابة للاتحاد السوفيتي السابق والإطلالة على دول الخليج العربي خاصة، حتى الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ حيث لم يكن للاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت أي علاقات بدول الخليج سوى مع العراق.

واستمرت هذه العلاقة في إطار تسلسل الأحداث التي مرت بها دول المنطقة، منذ ذلك الوقت عبر حربي الخليج الأولى والثانية وعقب ذلك كانت روسيا تحاول جاهدة مساعدة العراق لتجنب الأزمات الدولية التي كان يمر بها مع التحالف الدولي أو مع الأمم المتحدة.

وتجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى أن الدبلوماسية الروسية حذرت العراقيين مراراً وعلى مختلف الأصعدة من خطورة السياسة التي ينتهجونها باتجاه المماطلة بعملية التطبيق الكامل لقرارات مجلس الأمن الدولي ومن أن الولايات المتحدة يمكن أن تقوم حقاً بعملية عسكرية ضد بغداد. وإجمالا فإننا إذا

ما انتقلنا إلى موضوع دور روسيا في الأزمة العراقية توجب علينا التأكيد على أنـــه خـــلال مختلف مراحل هذا الدور وحتى خلال المرحلة الصعبة من ترميم الدبلوماسية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ظلت سياسة روسيا إزاء بغداد متينة ومتزنة ترمي إلى الحفاظ على العلاقات مع العراق وتقديم الدعم المعنوي والسياسي له بما في ذلك في إطار الأمم المتحدة أيضاً. وما من شك في أن هذا الدعـــم كـــان خلال مختلف مراحل الأزمة العراقية يتنوع محكوما في كثير من الأحوال بعوامل السياسة الداخلية الروسية وكذلك بمجمل ما لروسيا من علاقات دولية ومع ذلك فإن الجانب الرئيسي من هذا الدعم ظل يتمثل في رفض روسيا الـــتوجه نحـــو اســـتخدام القـــوة العسكرية كأداة تكاد تكون الوحيدة التي يمكن بواســـطتها إرغـــام بغـــداد على تطبيق قرار هيئة الأمم المتحدة ومعروف أن الديبلوماســـية الروســـية وبمفـــردها عملياً استطاعت تفادي انفجار الوضع عام ١٩٩٨ عـــندما أقنعـــت القيادة العراقية بفتح الأبواب مجدداً أمام عودة المفتشين الدوليـــن إلى العراق، وإرجاع النزاع إلى قنوات هيئة الأمم المتحدة وليس من بـــاب المصـــادفة إطلاقـــاً أن تـــبدأ مـــنذ النصف الثاني من التسعينات تحديداً الاتصالات الروسية العراقية المكثفة في المجال التجاري الاقتصادي، وأن يوقع الطـــرفان عدداً من العقود الضخمة ولاسيما في القطاع النفطي لتصبح الشركات والمؤسســـات الروســـية صاحبة أكبر حصص لتصدير النفط العراقي في إطار برنامج الأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء) وعلى هذا النحو غدت روسيا الشريك السياســـي والتجاري الاقتصادي الأول للعراق واحتلت مواقع بالغة الأهمية في السوق العراقية خاصة في مجال النفط علماً أنها كانت بحكم خصوصية الوضع تتصـــرف في إطار نظام العقوبات الأمر الذي قيد إلى حد كبير إمكانيات تنفيذ العقود الضخمة علاوة على خشية روسيا الاتحادية من ضياع ديون العراق لها والتي تصل إلى حوالي ثمانية مليارات دولار.

وحاولت روسيا جاهدة عدم انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق دون غطـــاء دولـــي وقرار الأمم المتحدة في إطار سعيها لتحقيق الحل السلمي للأزمة العراقية الأمريكية.

كمـــا ســـعت روسيا من خلال تحالفها مع ألمانيا وفرنسا من خلال مجلس الأمن عدم استصدار قرار جديد منذ صدور القرار رقم ١٤٤١ والذي يدعو إلى قـــيام المفتشين الدوليين بنزع أسلحة التدمير الشامل إن وجدت بالطرق السلمية دون استخدام القوة العسكرية.

هـــذا ولقـــد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الضغط على روسيا بكافة الوســـائل لموافقتها على تمرير قرار جديد من مجلس الأمن يخول لها استخدام القـــوة ضد العراق تارة بالوسائل الدبلوماسية وتارة بالوسائل الاقتصادية سواء عن طريق مساعداتها الاقتصادية لها ومنها تقديم تكنولوجيا استخراج النفط من حقول سيبيريا وهو ما أتفق عليه منذ أوائل فبراير عن مد خط أنابيب للغاز من غرب روسيا إلى الجزر اليابانية ومنها إلى غرب الولايات المتحدة الأمريكية في إطـــار الحملـــة الأمريكية لتقليل اعتمادها على بترول الشرق الأوسط واستخدام روسيا كمنافس للبترول السعودي في منظمة أوبك وبهدف إضعاف منظمة أوبك المصدرة للبترول.

والمعـــتقد أن الـــروس سيقبلون في النهاية صفقة روسية أمريكية تتضمن بعض المصالح في العراق وإعطاء روسيا حرية أكثر في استخدام العنف لسحق المقاومـــة الشيشـــانية مقابل دعم الموقف الأمريكي أو على الأقل السكوت عليه وذلـــك بـــأن تلعـــب لعبة مزدوجة تسعى فيها إلى الحفاظ على الحد الأدنى بين التفاهم مع الولايات المتحدة والعمل على حماية مصالحها في العراق وفي منطقة الشرق الأوسط.

موقف بعض الدول في النطاق الإقليمي للشرق الأوسط:

اختلاف توجهات ومواقف هذه الدول بين المعارضة أو التأييد في المراحل المختلفة للأزمة بل لقد اتصفت بعض مواقف لهذه الدول بالغموض والتردد.

تركيا وحرب الخليج:

برغم موافقة الحكومة على انتشار القوات الأمريكية في الأراضي التركية إلا أن مجلس الأمة التركي لم يوافق على ذلك عندما عرض الأمر عليه وإن كان يعتقد أن الهدف التركي المعارض للغزو وبرغم أطماعها وتطلعاتها في شمال العراق هو تخوف تركيا من تقسيم العراق وإقامة دولة كردية في شمال العراق مما يعنى مطالبة باقي الأكراد في الدول الأخرى المحيطة لإقامة دولة كردية كبرى ولكن الموقف التركي يعتبر من المواقف المعقدة حيث يتأرجح بين ولائه لحلف الأطلنطي كأحد أعضائه بجانب رغبته الشديدة لدخوله الاتحاد الأوروبي كأكبر دولة وهذه الرغبة حلم يراود تركيا من فترة ليست بالبعيدة وفي نفس الوقت لا تستطيع الاستغناء عن علاقتها القوية بالولايات المتحدة ورغبتها في معاونتها لإنقاذ اقتصادها من الأزمة الحالية علاوة على المعونات العسكرية التي تقدمها لأمريكا وتركز الخلاف أساسا مع الولايات المتحدة على موضوعية حجم وشكل المساعدات التي تحتاجها تركيا منها والثاني عن السماح للقوات التركية بدخول الأراضي العراقية.

وقد أجمع الكثير من المحللين على أن تركيا كانت ستوافق في النهاية على منح القوات الأمريكية والمتحالفة تسهيلات لضرب العراق نتيجة للعلاقة التي تربط تركيا بالولايات المتحدة الأمريكية من جانب ولعضوية تركيا في حلف شمال الأطلسي والذي دعم تركيا بالمعدات منها الصواريخ الباتريوت المضادة للصواريخ وطائرات الاستطلاع والإنذار الأواكس التابعة للحلف بهدف الدفاع عن تركيا وأراضيها.

وبالنسبة للدول العربية:

عارضـــت جميع الدول العربية بصفة عامة الهجمة الأمريكية المبيتة ضد العـــراق وذلـــك خـــلال مؤتمرات القمة سواء القمة العربية أو الإسلامية والتي انعقـــدت في أوائل شهر مارس (٢٠٠٣)، كما اتفقت على عدم المشاركة في أي عـــدوان أمريكي على العراق. ولكن بعض الدول العربية وهي الدول الخليجية كانـــت لهـــا بعـــض التحفظات بسبب وجود القوات الأمريكية والبريطانية على أراضـــيهم وذلـــك وفـــق اتفاقات ومعاهدات تعاون عسكري معه وذلك من قبل الأزمـــة العراقية الأخيرة بل منذ حدوث حرب الخليج الثانية بل إن هذا التواجد العسكري كان أحد تداعيات ونتائج غزو العراق للكويت.

ولكـــن كانـــت وما زالت هناك معارضة شعبية من شعوب هذه الدول منذ العـــدوان على شعب العراق مطالبة بتدمير أسلحة الدمار الشامل إن وجدت عن طريق مفتشي الأمم المتحدة وبالطرق السلمية دون استخدام القوة.

الدور الإيراني ومدى مصداقيته:

إيران تدرك أن الغزو الأمريكي للعراق سيكون مقدمة للاعتداء على إيران كمـــا أن هذا الغزو سيؤمن وجوداً عسكرياً أمريكياً في العراق، وسيكون مقدمة لترتيبات إقليمية جديدة لإسرائيل أن تتواجد في العراق بالقرب من إيران، ومن ثـــم فإن معادلة العلاقات الإقليمية في الخليج سوف تشهد اختراقا إسرائيليا غير مسبوق في ظل حماية ورعاية أمريكية لهذا الاختراق.

ويمكـــن تحديد ثلاثة منافذ للخطر على الأمن القومي والمصالح والأهداف القومـــية الإيرانـــية وبالذات في إقليم الخليج بعد العدوان الأمريكي على العراق وهي:-

١- خطـــر الوجود العسكري الأمريكي والنفوذ الإسرائيلي في الخليج في ظل اختلال موازين القوى الإقليمية بفرض نظام عميل في بغداد.

٢- خطر العدوان المباشر على العراق سواء كان العدوان أمريكياً – إسرائيلياً، أم كـــان أمريكـــياً فقط أو إسرائيلياً فقط في ظل الجنوح الإسرائيلي لتدمير المنشآت النووية الإيرانية على غرار تدمير المنشآت النووية العراقية.

خطـــر شـــن عـــدوان أمريكي – إسرائيلي ضد حزب الله وسوريا وتدمير قـــدرات المقاومـــة الفلسطينية باعتبار أن حزب الله تم إدراجه ضمن المنظمات الإرهابية، وأن سوريا تقف حجر عثرة أمام تصفية حزب الله ومنظمات المقاومة الفلسطينية.

جاء هذا الرفض المطلق والسعي إلى تجنب حدوثه، مع حرص شديد على عـــدم الـــتورط في أي صراع عسكري مع الولايات المتحدة، هذا الموقف جاء شديد الغموض وأوقع المسؤولين الإيرانيين في كثير من التناقض الظاهري لكن التدقـــيق فيه، وفهم خلفياته، يوضح قدراً كبيراً من الاتساق والتوازن بين ما هو عسكري وما هو سياسي من التزامات.

فـــالموقف الإيرانـــي، من حيث المبدأ، عبر عنه الرئيس محمد خاتمي من خـــلال تجديـــد التأكيد على موقفه الرافض لضرب العراق أو التدخل في شئونه الداخلـــية، أما الموقف الإيراني من الناحية العملية فقد شهد تداخلاً بين وزارتي الخارجـــية والدفاع، ومن هنا هذا الفهم نظر إلى تصريحات على شمخاني على أنها تعبر عن الموقف العسكري باعتباره وزيراً للدفاع، والتركيز على قوله إن موقف الجمهورية الإسلامية إزاء العراق في الظروف الراهنة هو: لا للمواكبة، ولا للمغامـــرة، وفهم هذا القول على إنه يعني إنه عندما تندلع الحرب فعليا، فإن إيـــران "لن تواكب" أي تحرك عسكري أمريكي تشارك فيه المعارضة العراقية، وبالتالـــي فإنهـــا لـــن تقدم أية تسهيلات أو قواعد لجماعات المعارضة العراقية المقـــيمة على الأراضي الإيرانية، وزاد البعض على ذلك بالقول إن إيران وفق هـــذا الفهم، (أي عدم المواكبة) لن تسمح لقوات بدر التي تتواجد على أراضيها، وتمـــثل الذراع المسلحة للمعارضة العراقية في إيران، بالقيام بأي دور في هذه الحرب.

وهذه رسالة موجهة لكل من الحكومة العراقية والولايات المتحدة بأن إيران لا تملك نوايا انتهازية فيما يخص العراق، وأنها من الناحية العسكرية ستختار الوقوف على التل، وقد تحمل – كما رأى بعض المحللين – تحذيراً للمعارضة العراقية في إيران بضرورة عدم التعويل كثيراً على قواتها العسكرية المتمثلة في قوات بدر.

وهنا نلاحظ حرص الإيرانيين على توضيح أن موقف "الحياد" الإيراني يتعلق أساساً وفقط بالإطار العسكري وليس بالجانب السياسي والدبلوماسي والإعلامي وملحقاته، ومن ثم فإن "الحياد" الإيراني ليس حياداً سلبياً بل هو "حياد إيجابي" فهو يتمثل في بذل كل الجهود الممكنة للحيلولة دون حدوث الغزو الأمريكي للعراق، لكن الحياد العسكري ليس التزاماً مطلقاً خصوصاً إذا تعرضت إيران لعدوان عسكري، وسوف ترد في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، وجاءت تصريحات الجنرال محمد سليمي قائد الجيش الإيراني توضح جدية هذا الموقف. فقد أعلن أن القوات المسلحة الإيرانية اتخذت عدداً من الخطط تقضي بإجراء مناورات وتحركات لوحدات السلاح الجوى والبحري لإفشال التهديدات الأمريكية ضد إيران.

وعندما أبدى الرئيس الأمريكي تفهماً ظاهرياً أو تكتيكياً للموقف الدولي الرافض لشن أي ضربة وقائية أمريكية منفردة دون قرار من الأمم المتحدة دعت طهران بغداد للموافقة على العودة السريعة للمفتشين الدوليين على الأسلحة للحيلولة دون تعرضها لضربة عسكرية أمريكية، كما دعت الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة للقيام بدور أكثر فاعلية لتفادى الحرب، ودعت وزارة الخارجية الإيرانية أن تتعاون الحكومة العراقية مع الأمم المتحدة للعودة السريعة لمفتشي الأسلحة.

حرص الإيرانيون على التمسك بدرجة عالية من ضبط النفس للحيلولة دون التورط في أي مواجهة مع العراق في هذه الظروف حتى لو كانت إعلامية وسياسية، لإدراكهم أن مثل هذه المواجهة سوف تؤول على أنها انحياز للموقف

الأمريكـــي بكـــل مـــا قد يحدثه ذلك من تشويه غير مرغوب للسياسة الإيرانية وللعلاقات الإيرانية – العربية بصفة خاصة.

التنسيق في المواقف مع دول مجلس التعاون الخليجي:

أظهـــرت إيـــران حرصاً واضحاً على التنسيق في المواقف مع السعودية ودول مجلـــس الـــتعاون الأخرى، سواء بالنسبة للجهود المشتركة لمنع عدوان أمريكي على العراق أو بالنسبة لمرحلة ما بعد سقوط النظام العراقي الحاكم في حالة وقوع العدوان في إسقاط النظام (وقد احتلت العراق فعلاً وسقط النظام).

وللحقـــيقة يمكـــن القـــول إن الحـــرص كان متبادلا بين الجانبين الإيراني والســـعودي، وأيضـــا بعـــض دول مجلس التعاون وخاصة البحرين، فإذا كان الرئـــيس الإيرانـــي محمد خاتمي قد زار السعودية زيارة خاصة أجرى خلالها محادثات مهمة مع ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، فإن ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسي زار طهران في زيارة هي الأولى من نوعها منذ اســـتقلال البحرين عام ١٩٧١، كما زار الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية الســـعودي طهـــران والـــتقى بنظيره الإيراني كمال خرازي في ١٨ أغسطس (٢٠٠٢)، حيث أكد الوزيران موقف بلديهما المعارض لأي عمل عسكري ضد العراق.

أما زيارة ملك البحرين لطهران فقد عبر البيان الصادر في ختامها عن قدر أكبر من الوضوح في الموقف، فإلى جانب التأكيد على المعارضة "الحازمة" لأي عمل عسكري أحادي الجانب "ضد العراق" أوضح البيان أن الدولتين تعبران عن تضـــامنهما مع الشعب العراقي، وتطالبان حكومة العراق باحترام قرارات الأمم المـــتحدة كما أكدتا احترامها لوحدة الأراضي العراقية وسيادته الوطنية، وحذرتا مـــن الـــتهديدات التي تواجه المنطقة، وأكدتا معارضتهما لأي عمل يهدف إلى تعريض الأمن والاستقرار في الخليج للخطر.

وهنا نلحظ ثلاث مسائل مهمة:-

الأولى: هي الإشارة إلى رفض أي عمل عسكري "منفرد" ضد العراق بما يعـنى أنـه لو صدر قرار من الأمم المتحدة يسمح بتوجيه هجوم عسكري ضد العراق فإنه لن يلقى معارضة.

الثانـية: هي إعطاء أولوية الاهتمام للشعب العراقي بما يكشف عن وجود موقف رافض للنظام العراقي الحاكم.

الثالـثة: الحرص على تنسيق مواقف إيران مع دول الخليج المجاورة عبر عنه المرشد السيد على خامنئي في لقائه بملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى في طهـران الـذي طالب بضرورة إقامة علاقات أوثق بين الدول المجاورة للخليج "الفارسي" وإيران، وقال إنه نظراً إلى الطابع بالغ الحساسية للخليج، ونظراً إلى حقوله الهامة والطاقة التي ينتجها فإن أي حدث في المنطقة سيعود بالوبال على من يتسبب فيه.

الحرص على تجنب المواجهة مع الولايات المتحدة:

يعكس هذا الحرص حقيقة الموقف الداخلي في إيران أو فلنقل هو محصلة تفاعلات تيار التشدد المحافظ والإصلاحي خصوصاً وأن الموقف الإيراني يقف بيـن خيارين أحدهما أن الولايات المتحدة والعراق كلاً منهما له دين هائل عند طهران كما أن هناك إدراكا شبه عام لدى الإيرانيين (محافظين وإصلاحيين) بأن كـلا من الولايات المتحدة والعراق يسعى لاستمالة إيران إلى جانبه، مما جعل الموقـف الإيرانـي يتأرجح بين عدم مواكبة واشنطن في ضرب العراق وعدم خوض مغامرة غير محسوبة النتائج في دعم بغداد لوعى الإيرانيين بأن واشنطن تعمـل لاسـتمالة طهـران عبر التحذير من الخطر العراقي على دول الجوار، والاستمرار في استخدام لهجة التصعيد لدفع طهران إلى الابتعاد عن أي تقارب مـع بغـداد، ولوعـى الإيرانيين بأن العراق هو الآخر يسعى لاستمالة إيران بالتركيز على أنها ودول جوار أخرى ستكون الهدف المقبل للحملة الأمريكية.

وإلى جانب خطوات التهدئة هذه حرصت إيران على إظهار أعلى قدر من الجدية في التصدي لأي نوايا عدوانية أمريكية، فقد صرح الأميرال علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني بأن على الولايات المتحدة أن لا تتجاوز الخطوط الحمراء في حال شن هجوم على العراق مؤكداً في الوقت نفسه أن بلاده "لا ترغب بمواجهة" مشيراً إلى أن القوات المسلحة الإيرانية على أتم الاستعداد لمواجهة أي احتمال، وقال إن عواقب هجوم أمريكي على إيران ستخلق ظروفاً غير متوقعة للولايات المتحدة وأمن المنطقة، لكنه أشار إلى أن إدانة محتملة لعملية عسكرية أمريكية لا تعني مواجهة مع الولايات المتحدة، لقد بذلنا كل جهودنا السياسية لتخفيف حجم المخاطر العسكرية وإبعاد احتمال عملية عسكرية أمريكية، وخلص إلى القول وهذا هو المهم أن مستوى التناقضات والعداوة في الوقت الحالي بين طهران والولايات المتحدة ليس مرتفعاً إلى الحد الذي يدفع هذه الأخيرة إلى شن عملية عسكرية على بعد عشرة آلاف كم من حدودها.

إسرائيل الرابح الوحيد في هذه الأزمة:

إن إسرائيل هي الرابح الوحيد في هذه الأزمة ومن الحرب ضد العراق. بل ليس من الغريب أن تكون هذه الأزمة وهذا الموقف الأمريكي المتعنت إحدى نتائج سعيها وتشجيع يهود أمريكا وكل قوى الضغط لإقناع الولايات المتحدة بخطورة العراق على الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط أو على الولايات المتحدة بشكل أو بآخر. ليس هذا فقط بل سارعت إسرائيل بتقديم الكثير من جانبها لخدمة الولايات المتحدة حيث زودتها بخبرات كثيرة في مجال الحرب ضد الإرهاب ولقد ركبت إسرائيل موجة رد فعل أحداث ١١ سبتمبر لإثارة أمريكا ضد العراق. وتحاول إسرائيل بقيام الحرب أن تأخذ مكانا فيها حتى ولو لم يتم قصفها من قبل العراق.

ومن المعروف أن إسرائيل قدمت معلومات خاصة بها عن العراق للإدارة الأمريكية حول العديد من المجالات والقضايا والصور الفضائية. كما قدمت خبرتها في الحرب في المدن. بل من المعتقد أن إسرائيل لم تترك هذه الفرصة

للعرض بالقيام بالأعمال الاستخبارية والتجسس كما تعد إسرائيل أن الحرب ضد العراق هي بداية الحرب ضد الإرهاب والدول المؤيدة له وتقصد في ذلك سوريا ولبنان وإيران. ولهذا فمن الطبيعي أن تطالب إسرائيل بنصيبها من العائد ومن المكاسب الأمريكية من هذه الحرب. وعلى الأقل التأييد المطلق في التسوية السلمية من المنظور الإسرائيلي بجانب المساعدات الاقتصادية من منح ومساعدات وقروض وضمانات بحجة تعويض الاقتصاد الإسرائيلي المنهار حاليا.

وسنأتي بشرح الموقف الإسرائيلي بشيء من التفصيل في الفصول التالية حيث إنها إحدى الدول المؤثرة بحكم علاقاتها وتأثيرها على السلطة الحاكمة في الولايات المتحدة والتي لها دور هام سواء أثناء الحرب أو المرحلة التالية له.

فكر الاتحاد الأوروبي والحرب العراقية:

دول الاتحاد الأوروبي "القديم" بشكل عام تتخوف من نتائج تطبيق "عقيدة بوش" في العراق بعد أفغانستان، لأن الانتصارات العسكرية تجعل من الولايات المتحدة إمبراطورية مستبدة لا تراعي قوانين الأمم المتحدة ولا تعترف بمصالح حلفائها. ويرى "جاك شيراك" أن أمريكا ستصبح دولة إمبريالية بفضل القوة التي تملكها لا بفضل الشعارات التي تطرحها. وهو يعارض عدم تقيدها بالاتفاقات الملزمة كأنها وريثة المهمات التي تخلت عنها الإمبراطوريات المنهارة في القرن العشرين، كالإمبراطوريات العثمانية والبريطانية والسوفيتية وتقول الصحف الألمانية إن "مؤتمر فرساي" لم يحقق السلام والحرية لدول أوروبا كما تصورت "عقيدة ويلسون" بل أنتج النظام النازي الذي فرض الحرب العالمية الثانية. وهي ترى أن السيناريوهات التي يعرضها صقور الإدارة مثل "ديك تشيني" و"دونالد رامسفيلد" لن تفضي إلى الاستقرار والسلام المنشودين، ذلك أن تداعيات التغيير في العراق لا يمكن أن تعطي بوش العصا المطلوبة لفرض تغيير موقف إسرائيل ما دامت طموحاته في التجديد تخضع لإرادة نتانياهو وشارون وموفاز. وعندما يتحدث المسؤولون الأمريكيون عن تشكيل

شرق أوسط جديد إثر انهيار صدام حسين، إنما يتوقعون حدوث سلسلة متغيرات علـــى صعيد المنطقة كلها. أي إنهم يراهنون على انتصار تيار الإصلاحيين في إيران، الأمر الذي يؤمن التقارب مع واشنطن، ويوفر أجواء جديدة تسمح برفع الحظر والمقاطعة وتأمين تدفق النفط والغاز.

كمـــا يخشـــى الاتحاد الأوروبي من أي محاولات أمريكية لإيجاد حكومة معـــتمدة على الدول الحديثة وخاصة تلك التي خرجت من العباءة السوفيتية مما يـــؤدى إلى إضعافه أو تفككه خاصة وأن الموقف الأوروبي الذي ظهر معارضا الولايـــات المتحدة في حربها وكذلك المعارضة في حلف الناتو سيجعل الولايات المتحدة أكثر حذرا وقلقا من أوروبا كمنافس لها في المستقبل وأمريكا تخشى ذلك بـــل ترفضـــه كمـــا أن الكثير من الدول الأوروبية بل جميع هذه الدول – ولو بدرجـــات متفاوتة – تشعر بأهمية العلاقات الأوروبية – الأمريكية وترغب في المحافظة عليها.

أوروبا وخيار القوة الأمريكي:

لقد عارضت القمة الأوربية في بروكسل الحرب ضد العراق وطالبت القمة الأوروبـــية، أوائل مارس (٢٠٠٣) في أن العراق يجب عليه أن يدرك بجد أنه مطالـــب بإثـــبات تخلصه من أسلحة الدمار الشامل وأن الضغوط عليه ستستمر قائمة علماً بأن الوصول إلى ذلك لا يكون حتما بالخيار العسكري المكلف والذي ستتلوه عواقب يجب تجنبها.

ولعـــل المواقف المعبرة عنها من خلال أصوات "سولانا" و"سترو" و"فيشر" فقد قال المتحدث باسم السياسة الخارجية الأوروبية إن الكل متفق على أن تكون الحرب هي الخيار الأخير وقد تكون الحرب هذه ضرورية في لحظة ما ولكن لم نصل إلى هذا الحد ولقد قال وزير الخارجية البريطاني من الصعب شن الحرب في هذه الظروف ويجب أن نأخذ الرأي العام في الاعتبار وقال وزير الخارجية الألمانـــي إن مبادرة الثمانية (الذين أيدوا بوش في خطاب جماعي) كان مخالفاً

للـروح التـي كانـت تسود في السابق والتي كانت تسهل الوصول إلى مواقف مشتركة وكان من الممكن التوصل هذه المرة إلى مواقف مشتركة.

معـنى ذلـك كله أن أوروبا أرادت أن تسجل موقفاً متميزاً في اتجاه خدمة نفـس الأهداف وإذا كان توجيه ضربة عسكرية للعراق هدفا تقود إليه حسابات أمريكـية فـإن الحسابات الأوروبية تقود إلى سياسة مستقلة ستكون في الغالب منسـجمة مـع السياسة الأمريكية ولكن بدون إملاء، ربما كانت تجربة العراق ميلادا لسياسة أوروبية مشتركة. قد يجوز لنا أن نتحسس في الموقف الأوروبي بدايـة تعددية قطبية وإذا حدث هذا سيكون الوضع مفيداً للتوازن العالمي وهي فرصة متاحة للمجموعة العربية تضاف إلى ذلك الانتفاضة العالمية ضد الحرب وهـو معطـى يملى على المجتمعات المدنية في العالم العربي أن تقرأ الموقف بشكل صحيح.

إن الولايات المتحدة مدعوة إلى مراجعة مواقفها وقد بدأت تصنع ذلك، لأن العـالم لا يمكـن أن تقـوده قوة واحدة مهما كانت القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية الأمريكية.

الأهمية الاستراتيجية للخلاف الأوروبي الأمريكي على العراق

إن الموقـف الأوروبـي المعارض للسياسة الأمريكية التي ترمى إلى شن الحـرب علـى العـراق والتـي تقوم على الهيمنة وعدم احترام الغير وإهمال مصـالحهم وإغفـال الـتطورات المهمة والعميقة التي يعيشها العالم منذ انتهاء الحـرب البـاردة وتفكـيك الاتحاد السوفيتي وبالتحديد يمكن القول بأن الموقف الأوروبي يعود إلى القضايا المهمة الآتية:-

١- رفـض إدارة الرئـيس بـوش ما أصاب العالم من تغير بعد انتهاء الحرب البـاردة وأن شعوبه التي عانت الكثير من الحروب أصبحت تعادى الحروب وتنادى بالسلام

٢- استخفاف إدارة الرئيس بوش بأوروبا عموماً والاتجاه إلى التعامل مع دولها وحكامها كعملاء تابعين وليس كشركاء استراتيجيين والتصرف بالتالي وكأن الحرب الباردة لا تزال قائمة وأن الغرب الذي تقوده الولايات المتحدة لا يزال يخوض غمار حرب مع الآخر وأن حاجة أوروبا للحماية العسكرية الأمريكية لا تزال حقيقة ملحة تفرض على الأوروبيين الطاعة وتوجيه الشكر لأمريكا.

٣- عدم استيعاب أمريكا لمدى التعاطف الذي حصلت عليه عالمياً بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) الإرهابية ومسؤولية بوش الشخصية ووزير دفاعه عن سرعة تلاشي ذلك التعاطف خصوصاً عندما قالا إن العالم ينقسم إلى معسكرين معسكر خير تقوده أمريكا ويخضع لإرادتها ومعسكر شر يضم كل من لا يقبل بالقيادة الأمريكية ولا يخضع لإرادتها.

٤- بعد تبلور الخطر النووي الذي تجسده كوريا الشمالية واتجاه أمريكا إلى مهادنتها والتعامل مع الأزمة التي أثارتها بالطرق الدبلوماسية أدرك الأوروبيون أن الهدف الأمريكي في العراق يتجاوز بكثير تجريد العراق من أسلحته النووية ويرمي إلى السيطرة على المنطقة العربية والتحكم بإمدادات النفط العربية وهو هدف يتعارض مع المصالح الأوربية في المدى الطويل إذ أن المشاركة الأوروبية في الحرب على العراق لا تعني فقط مساعدة أمريكا على السيطرة على النفط بل أيضاً السماح لأمريكا بالسيطرة على النفط واستخدامه سلاحاً ضد أوروبا نفسها إذا رغبت ومتى رغبت.

- بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) رأت إدارة بوش والفريق الحاكم في واشنطن أن الفرصة مواتية لفرض هيمنة أمريكا على العالم إذ رأى بوش التعاطف العالمي مع الشعب الأمريكي في محنته رضوخاً للهيمنة الأمريكية وقبولاً بسياسة أمريكية عدوانية وعقلية استعلائية، وكان مفروض وأمريكا في قمة قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية أن تنجح في فرض هيمنتها على العالم خصوصاً في غياب الاتحاد السوفيتي وضعف روسيا وانشغال الصين

وتـــراجع اليابان ومرور أوروبا في مرحلة انتقالية صعبة إلا أن أوروبا فاجأت العالم حيث أصرت على اتخاذ موقف أخلاقي حيادي مخالف للموقف الأمريكي، ولقد تقدمت أوروبا بقيادة فرنسا وألمانيا وبلجيكا خطوة كبيرة وجريئة إلى الأمام عندما استخدمت الفيتو لتعطيل القرار الأمريكي في مجلس حلف الناتو.

وهذا يعنى أن أمريكا خسرت قوتها وتأثيرها كدولة رائدة لدى شعوب العالم بمـــا فـــي ذلـــك شعوب أوروبا وليس أدل على ذلك من خروج الملايين للتنديد بالحرب والسياسة الأمريكية في مختلف دول العالم يوم ٢٠ مارس (٢٠٠٣) إلى ذلك خسرت أمريكا قيادتها المطلقة لأوروبا ولحلف الناتو وهذه تطورات إيجابية تخدم قضية السلام العالمي وتحد من قدرة أمريكا على بسط هيمنتها على العالم.

إن العـــالم الذي برز بعد الحرب الباردة والذي يقوم على أحادية القطب لا يخـــدم مصـــلحة السلام أو النمو أو العدل وأن نظاما يقوم على تعدد القوى هو الـــبديل لـــيكون للعدل والسلام والنمو فرصة ليزدهر الموقف الأوروبي خطوة تجعـــل عالم تعدد القوى أقرب من أي وقت مضى وهي خطوة بحاجة إلى تأييد ودعم كل الأطراف المعنية بالسلام والأمن واحترام الآخر.

ظهور قوة عظمى منافسة:

علـــى أنـــه يجدر بنا أن نتذكر بأن الشاغل الاستراتيجي لأمريكا قبل ١١ ســـبتمبر لـــم يكن العراق أو الإرهاب أو الأصولية الإسلامية بل انهيار الاتحاد السوفيتي وما تبعه من تصدع الإمبراطورية السوفيتية في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى تصور خبراء الاستراتيجية الأمريكية بأن الصين هي على المدى البعيد (العـــدو) الوحيد المحتمل وهي القوة الوحيدة التي يمكنها أن تتحدى يوماً الهيمنة الأمريكية وعليه فيجب اعتبارها(الخصم الاستراتيجي) لأمريكا واعتبار مضائق تايوان من دون كل بقاع العالم سبيلاً لتوفير شرارة الحرب العالمية الثالثة.

غـــير أن الأمـــور تغيرت كثيراً خلال السنتين الأخيرتين فقد بذلت أمريكا والصين جهوداً محسوسة لتحسين العلاقات بينهما إذ انضمت الصين عام ٢٠٠١

إلـــى مـــنظمة التجارة العالمية بمباركة أمريكية وقام جيان زيمين زعيم الحزب الشيوعي الصيني بزيارة جورج بوش في مزرعته في تكساس وبلغت المبادلات الـــتجارية بيـــن البلديـــن أكثر من مائة مليار دولار امتصت الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها ربع الصادرات الصينية المزدهرة.

– لكـــن التـــنافس الكامن مازال قائماً ولا يحتمل أن يزول فقد وجهت إلى الصين انتقادات شديدة في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي أي البيان الأساسي لإدارة بـــوش فـــي تحديـــد سياســـتها الخارجية الذي أذيع في سبتمبر (٢٠٠٢) الماضي. إذ يقول البيان بأن زعماء الصين لم يحددوا بعد خياراتهم الأساسية في نوعية دولتهم ويسوق بعد ذلك ملاحظات استنكارية حول تزايد إمكانات الصين العسكرية وحول حكم الحزب الواحد وسجلها في موضوع حقوق الإنسان وحول عـــدم انفتاحها وإهمالها لحكم القانون. وطبعاً حول تهديدها بابتلاع تايوان بالقوة ولقد كان الطابع الملفت في مبدأ بوش تصميم أمريكا على مقاومة كل خصومها ومنافسيها بحيث تبقى وحدها القوة العظمى الوحيدة في العالم.

فأمريكا تحتاج لكي تحتوى الصين أن تنفرد في السيطرة على منطقة الخليج الاستراتيجية التي تحتوى على أكثر من ربع الاحتياطي النفطي في العالم والنفط هـــو المـــادة التـــي تسعى الصين حثيثاً إليها لكي تدعم وتنمى قوتها الاقتصادية الهائلة، حيث إن الصين تستورد حوالي ٧٥ – ٨٠% من احتياجاتها من البترول من الخارج فلا شك بأن الصين هي القوة العظمى الناهضة إذ يعتقد الخبراء بأنها ستسبق اليابان حليف أمريكا الأول في آسيا خلال اقل من عشر سنوات فتصبح بذلك القوة الاقتصادية الثانية في العالم وقد بلغت رؤوس الأموال المستثمرة في بورصة الصين ٥٤٠ مليار دولار تعود إلى ١٢١٢ شركة وهو أكبر حجم تبلغه فـــي آســـيا بعـــد اليابان والنبوءة الثانية تقول إن الصين ستبلغ مستوى أمريكا الاقتصادي خلال خمسة عشرة عاماً أي ما بين سنه ٢٠١٥ و٢٠٢٠ .

ولعـــل العـــامل الأساســـي فـــي نهضة الصين الحديثة هو أن عقدين من الإصـــلاحات الاقتصادية في عهد (دنج زياوي بينج) التي تابعها من بعده جيان

زيمبـــن أدخلـــت ما يعادل ٤٥٠ بليون من العملات الأجنبية وأدت إلى إحداث تغيـــير محسوس على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي؛ وستبلغ الاستثمارات الأجنبية في الصين في هذا العام ٥٠ بليون دولار، وهو مجموع لم يبلغه أي بلد فـــي العـــالم بما في ذلك الولايات المتحدة ذلك أن متوسط أجور العامل حوالي ١٥٠ دولار شهرياً يجعل من الصين قاعدة للإنتاج المنخفض الكلفة بالنسبة إلى مـــئات الشركات الأجنبية وبذلك تتحول الصين بسرعة فائقة إلى منصة ضخمة للإنتاج في العالم.

وســـيبلغ اســـتهلاك الصـــين من الفولاذ في العام المقبل ٢٥% من الإنتاج العالمـــي كما أن صادراتها السنوية التي تبلغ حالياً ما يعادل ٢٥٠ بليون دولار ســـتزداد بنسبة ١٥% هذا العام في حين ينتظر أن يزداد إجمالي الإنتاج المحلي بنسبة ٨%.

هـــذا بخلاف قدرات اقتصادية أخرى ليس مجال الحديث، إلا أنه لم تترك الولايـــات المتحدة الأمريكية الصين أيضاً في مجال معارضتها استصدار قرار دولـــي جديـــد يخولهـــا غزو العراق وتحاول أيضاً الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطها على الصين أسوة بباقي دول العالم المعارضة محاولة استخدام الورقة الاقتصـــادية وعـــدم إثـــارة الملفات المجمدة حالياً خاصة ملف حقوق الإنسان والديمقراطية وغيره.

بالنسبة لباقي دول العالم

كمـــا لـــم تـــتوقف الجهود والضغوط الأمريكية على دول العالم سواء في مـــراحل الحشـــد أو بغرض تقديم التسهيلات أو في أي صورة أخرى منذ بداية التخطـــيط لنزع أسلحة التدمير الشامل المزعومة أو حتى انتظار التصويت إلى قرار جديد يخول للولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق حتى منتصف مارس ٢٠٠٣ ووسائل الإعلام تذكر بين الحين والآخر عن اعتكاف الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش بالاتصال سواء بالدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن مثل

روسيا والصين أو بالاتصالات والتهديد للدول العشر الأخرى الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن مثل باكستان والدول الأفريقية الثلاث غينيا وأنجولا والكاميرون حتى أن وزير الخارجية الفرنسي توجه بزيارة في التاسع من شهر مارس ٢٠٠٣ في جولة لهذه الدول بغرض التأكيد على قرارات القمة الفرنسية الأفريقية والتي عارضت استخدام القوة ضد العراق في الوقت الذي كثفت فيه الولايات المتحدة الأمريكية اتصالاتها لكسب تأييد هذه الدول في الحملة الأمريكية المزعومة.

وهكذا ظهرت الجهود الأمريكية المكثفة على كافة دول العالم المختلفة شرقها وغربها بهدف كسب التأييد الدولي والأممي لتنفيذ نزع أسلحة التدمير الشامل العراقية المزعومة باستخدام القوة العسكرية سواء مع الدول الكبرى وحتى الدول الصغيرة والمعارضة ولم تسلم كل من روسيا والصين وفرنسا وألمانيا وغيرهم العديد من الدول والتي لمحت الولايات المتحدة الأمريكية مراراً بالإدانة ووصف استخدام حق الفيتو والذي لمحت به كل من فرنسا وروسيا بأنه عمل غير مسبوق في السياسة الدولية إلى حد اتهام الدول المعارضة بأنها تحرض على الإرهاب في دفاعهم عن عدم العدوان على العراق وتتناسى الولايات المتحدة الأمريكية أنها لم تستطع أن تقدم البراهين على امتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل كذلك للاتهامات المقدمة إلى النظام العراقي بعلاقته بتنظيم القاعدة والتنظيمات الإرهابية وأحياناً بإيوائه عناصر من هذا التنظيم وغيرها من الاتهامات العديدة والتي ليس لها أي أساس من الصحة وذلك بهدف الحصول على تأييد دولي يخول لها استخدام القوة العسكرية لنزع أسلحة التدمير الشامل المزعومة.

ولقد حاولت الولايات المتحدة في سعيها لإقناع العالم بأن هناك دولا تؤيدها وأن هناك تحالفاً دولياً للحرب ضد العراق بإعلان وزير خارجيتها أن هناك عدداً من الدول (مرة ٣٥ – ومرة ٤٠ دولة) وافقت وأيدت أمريكا في موقفها

ولكـــن معظم هذه الدول طلب عدم الإعلان عن أسمائها خوفا من النتائج. وهذه أيضا إحدى الشطوحات للحكومة الأمريكية لإقناع العالم بشيء غير مقنع.

خامساً: الأسلوب الجاكسوني في إدارة الأزمة:

– عالجـــت الإدارة الأمريكـــية الأزمة العراقية في إطار آلياتها العسكرية والسياسية في آن واحد.

فعلـــى الجانـــب العسكري اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية أساساً على التفوق الأمريكي الهائل على العراق.

– أمـــا علـــى القوة السياسية فإن القوة العظمى تحتاج الكثير من الأصدقاء والحلفاء للحفاظ على تأثيرها الكوني نجح الدور الأمريكي في إنجاز قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ وأصر رئيس الوزراء البريطاني "توني بلير" على اتخاذ قرار آخـــر مخصـــص لاستعمال القوة.كان ذلك مهماً سياسياً "لتوني بلير" وتجاوبت واشنطن مع طلب حليفها القوي في لندن.

ولكـــن كان القرار الثاني المطلوب يبدو عصياً كون فرنسا وألمانيا (وربما روســـيا) يقـــودون المعارضـــة وتكون النتيجة أن التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة قد يكون عليه التنازل عن نصره في إحراز القرار رقم ١٤٤١ في مقابل هزيمة فشل الحصول على القرار الثاني الذي لم يكن مطلوباً.هذا الحال سيترك الانطباع بأن أي عمل عسكري لاحق سيبدو وكأنه معارض لإرادة مجلس الأمن بدلا من أن يكون ذلك العمل العسكري نتيجة منطقية لجرجرة العراق لتردده في تنفيذ القرارات.

هـــذا الأمـــر التقني يحمل في طياته مغامرة أخرى يمكن أن تلاحق صناع السياسة الأمريكية والبريطانية إلا إذا نجحوا في انتزاع معجزة من هذه الفوضى قـــد يمكن التوصل للقرار الثاني ولكن إذا تقدم "هانس بليكس" بتقرير أكثر سلبية مما فعل للآن هذا الشيء ممكن بالطبع لكن الولايات المتحدة يجب عليها أبداً ألا

تضـــع نفسها في موقف يكون بوسع موظفين مدنيين دوليين أو حكومات أجنبية أن يتحكموا في قرارات تؤثر على مصالحها القومية.

فـــي موقـــف مشـــابه لهذا أثناء عام ١٩٩٩ قررت إدارة الرئيس كلينتون وحلفاؤهـــا في الناتو مهاجمة صربيا بالقنابل (طوال ٧٧ يوما) بدون البحث عن موافقـــة دولـــية وذلك بعد اتضاح أن روسيا سوف تستخدم الفيتو ضد أي قرار بـــالهجوم هذه المقارنة مع حالة إدارة بوش الحالية قد تبدو غريبة خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن صدام حسين تعتبره أسوأ بكثير من "سلوبودان ميلوسيفتش" وأن العراق يخلف وراءه تجاوزات لقرارات مجلس الأمن بينما لم تكن هناك أي قرارات في "كوسوفو".

فـــي الـــنهاية القوة العسكرية البحتة سوف تتفوق على الأرجح ضد العملية الدبلوماسية غير المضمونة والتي أوصلت الإدارة إلى حافة خوض الحرب بينما المعارضـــة العالمـــية لهـــا تعيق لا تسهل الأمر على الذين كانوا يؤيدون تدعيم القرار الدولي القائم لشن الحرب.

وكانـــت الولايـــات المـــتحدة الأمريكية قد تقدمت هي وبريطانيا وأسبانيا بمشروعها إلى مجلس الأمن في الخامس من مارس للتصويت عليه لمنحها حق استخدام القوة لنزع أسلحة التدمير الشامل من العراق إلا أنه ومع شعورها بعدم إمكانـــية تمريـــر القرار سحبت المشروع من جدول أعمال المجلس في الحادي عشر من شهر مارس ٢٠٠٣.

ومـــع تخـــوف الرئـــيس الأمريكي من استخدام فرنسا حق الفيتو ضد أي مشروع يتيح استخدام القوة لنزع أسلحة الدمار الشامل في العراق وجه الرئيس الأمريكـــي خطابـــه إلـــى الشعب الأمريكي مساء الاثنين ٢٠٠٣/٣/١٧ منذرا الرئـــيس العراقـــي بتنحيه ومغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة ومصرا على نزول القوات الأمريكية للأراضي العراقية لإيجاد حكومة ديمقراطية في العراق.

إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على خيار القوة:

الولايـــات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كانتا تصران على غزو العراق منذ مـــدة ولـــيس منذ إبعاد المفتشين الدوليين عام ١٩٩٨ كما أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تقوم بقصف شبه يومي للعراق منذ أحداث حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وإن كان معدل القصف اليومي تزايد منذ وصول جورج دبليو بوش إلـــى منصـــة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية في يناير عام ٢٠٠١، كما تضـــاعفت عملـــيات القصف منذ بداية النصف الثاني من عام ٢٠٠٢ وتكثيفها اعتـــباراً مـــن بداية عام ٢٠٠٣ واستهدفت ليس فقط المواقع العسكرية المضادة للطائـــرات وأجهزة الكشف والرادارات التي كانت تتحجج بها الولايات المتحدة الأمريكـــية إنما استهدفت مؤخراً مراكز اتصالات ومواقع عسكرية أخرى مثل مواقع وحدات الصواريخ أرض أرض وغيرها من الأهداف المؤثرة على القوة العسكرية وإن كان عدداً كبيراً من المحللين يرى أن هدف عمليات التفتيش هي نـــزع الســـلاح العراقي بهدف إتمام عملية الغزو والاجتياح وتغيير نظام الحكم العراقي دون أي عائق.

فالحرب على العراق ليست حرباً من أجل العراق وإنما هي من أجل الهيبة الأمريكية عبر نافذة العراق التي أتاحت فرصة وجدها صقور الإدارة الأمريكية ذهبـــية ولو كان بناء عظمة أمريكا عبر العراق من أجل قيادة إلى عالم أفضل لكـــن صـــقور إدارة " جورج دبليو بوش " يريدون حرباً على العراق من أجل (عقـــيدة) صـــنعوها منذ سنوات ووضعوا عليها اسم "جورج دبليو بوش" أخيراً عقيدة فحواها استباحة أي شيء من أجل الحفاظ على تفوق الهيبة الأمريكية.

معـــركة هؤلاء مع فرنسا وألمانيا تدخل في الحسابات ذاتها التي وضعتها عقـــيدة الدفـــاع الاستراتيجى التي صنعوها وليس أمراً عابراً أو زلة لسان في اندفـــاع وزيـــر الدفاع الأمريكي إلى تقزيم فرنسا وألمانيا في جهد متعمد لخلق الانقسام في صفوف حلف شمال الأطلسى (الناتو) فهذا جزء مما تقتضية العقيدة ودونالد رامسفيلد يضع تلك العقيدة في أعلى قائمة الأولويات الأمريكية.

قد يكون أحد أعمق تفسيرات تحول وزير الخارجية كولن باول من معسكر الحمائم إلى معسكر الصقور عائد إلى العقيدة التي كانت في الأساس ومنذ سنوات عدة جزءاً من تطويرها فهو جندى يتصرف على أساس الولاء التام للقائد صاحب القرار الأخير وهو أيضاً عسكرى أساسا قبل أن يمارس الدبلوماسية كوزير خارجية. وكعسكرى ساهم "كولن باول " منذ البداية في صنع العقيدة التي تواجه على صعيد الصداقات والتحالفات تحديات خصوصاً من جانب ألمانيا وفرنسا اللتين دخلتا في معركة مع أمريكا معركة عنوانها العراق وحقيقتها العقيدة.

ثم هناك روسيا التي تتحايل على العقيدة باسترضائها حيناً ووضع العصا في عجلتها حيناً آخر وهناك الصين التي تتظاهر بأنها لا ترى عقيدة فيما تعمل بهدوء وتماسك على نصب شراك لها.

الحرب ضد العراق ساحة اختبار للعقيدة، كذلك الرأى العام الأمريكي يفهم العقيدة من قشورها يفهم أنه ينتمى إلى دولة عظيمة ويريد التفوق الدائم للاحتفاظ بمرتبة العظمة لكنه غير راغب في فهم إفرازات أسلوب العقيدة عليه، فسياسات إدارة بوش ستحول أمريكا إلى عظمى في الكراهية لها واختفاء الثقة بها ستحول الفرد الأمريكي إلى أسير للعظمة سُحبت منه لذة العيش والحرية التي وعده بها إعلان الاستقلال الذي أصر على ذكر الحق بالسعى وراء السعادة والأسوأ أن هذه ليست سياسات عشوائية إنها سياسات مدروسة أطلقتها حفنة يمينية متطرفة أحسنت استخدام استراتيجية وقطع الطريق على الاعتراض وحشد الرأى العام من خلال اللعب على خوفه والتلاعب بمبادئه.

قرار الحرب والسياسة الأمريكية

لقد كان خطاب الرئيس "جورج دبليو بوش" في الحفل السنوى "لمعهد أميركان إنتر برايز" يوم ٢٦ فبراير ٢٠٠٣ كان بمثابة إعلان الحرب ضد

العـــراق. وقد كان للمكان والزمان اللذين ألقى فيهما الخطاب ذلك المغزى وهو المعهد المتشدد ضد العرب.

ومـــن هـــنا فـــإن اختيار بوش لمعهد (أميركان إنتربرايز) لإلقاء (إعلان الحرب) وفي يوم ٢٦ فبراير ٢٠٠٣ الذي كان قد تحددت صبيحته لبدء الحرب " قـــبل مظاهرات أوروبا " معناه أن بوش قد انحاز لرؤية الصقور والمحافظين الجدد للشرق الأوسط التي تحددت في تغيير النظام في العراق كمقدمة لتغييرات فـــي الشرق الأوسط وحل النزاع العربي – الإسرائيلي وكما يبدو سيناريو بوش (تصـــور الصـــقور والمحافظين الجدد) فإنه يقلب المعادلة بالتركيز على تغيير الـــنظام العراقـــي بدلا من التركيز على تسوية النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي (والصراع العربي الإسرائيلي عموماً) وبالمخالفة لما سارت عليه إدارة كلينتون.

وبالنســـبة لمؤيـــدى سيناريو العراق سيحدث تغييرات في الشرق الأوسط تؤدى إلى حل الصراع العربي – الإسرائيلي في النهاية وذلك ما عبر عنه بوش صـــراحة فـــي خطابـــه في معهد أميركان إنتربرايز بقوله إن تغيير النظام في العراق سيفسح المجال أمام تغييرات إيجابية في كامل منطقة الشرق الأوسط كما أنـــه سيساعد في السير قدما نحو تنفيذ (رؤية بوش) الخاصة بالنزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويوضـــح بوش ذلك في الخطاب نفسه بقوله إن قيام نظام جديد في العراق ســـيقدم كمثال مهم جدا للحرية ويفهم البلدان الأخرى فى المنطقة وسيشكل بداية مـــرحلة جديـــدة للســـلام في الشرق الأوسط ويحرك التقدم نحو دولة فلسطينية ديمقراطية حقاً.

وفـــي تحلـــيله لرؤية الصقور والمحافظين الجدد للشرق الأوسط (سيناريو بـــوش) توصل الباحث فيليب جوردون من معهد بروكنجز إلى أن هناك أربعة افتراضات تقوم عليها هذه الرؤية هى:

الافـــتراض الرئيسى هو أن الوضع الراهن STATUS QUO في الشرق الأوسط لم يعد مقبولا بعد الهجمات الانتحارية على واشنطن ونيويورك في ١١ ســـبتمبر فالذيـــن فجروا الطائرات الانتحارية في برجى مركز التجارة العالمي ومقر البنتاجون جاءوا من العالم العربي مدفوعين بكراهية للولايات المتحدة.

والافـــتراض الـــثانى أن بقاء نظام صدام حسين فضلاً عن أنه يعنى بقاء المثال المجسد للديكتاتورية في المنطقة فإنه يمثل تهديداً سواء استمرت العقوبات ضده أو رفعت مع احتمال تطويره لأسلحة دمار شامل وربما لسلاح نووى بما يجعل تحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة مستحيلاً.

والافـــتراض الثالـــث الذي يبنى عليه سيناريو بوش يتعلق بإسرائيل فإدارة بوش قد استخلصت من تجربة إدارة كلينتون (فشل مباحثات كامب ديفيد- ٢) أن الولايات المتحدة مهما فعلت لن تستطيع تحقيق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل طالما أن هناك دولا فى الشرق الأوسط تدعم بالتدريب والمال ما تسميه الإدارة الأمريكية (الإرهاب الفلسطيني) وطالما لم تتغير القيادة الفلسطينية.

أما الافتراض الرابع فهو أن تحقيق السلام على المدى الطويل والاستقرار وإنهاء الإرهاب المعادى لأمريكا لن يكون ممكناً إلا إذا أصبحت نظم الحكم في المنطقة أكثر ديمقراطية.

وبناء على الافتراضات السابقة جاء سيناريو بوش للشرق الأوسط كما ورد فـــي خطابـــه أمام (أميركان إنتربرايز) وبدأ السيناريو بتغيير النظام في العراق وليس بحل النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي.

يـــرى بعض الخبراء أن هذا الوعد يأتى في إطار حملة تهدئة الرأى العام العربي وأنه من الصعب الوصول إلى تسوية في ظل سيطرة اللوبى الصهيوني على الإدارة الأمريكية.

ففكـــرة الـــبدء بالإطاحـــة بنظام صدام حسين كما يتضمن سيناريو بوش افتراض تحقيق مزايا عديدة:-

١- يعـــنى خلـــع ديكتاتور يحكم بعرف التعذيب ومعامل السموم حسب وصف بوش.

٢- إســـقاط نظـــام صدام يعنى رفع العقوبات عن العراقيين وإعادة بناء العراق بأموال البترول العراقي.

٣- إن زوال الـــتهديد الـــذي يفرضه استمرار نظام صدام يعنى تقليص الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة.

٤- يترتـــب على رفع الحظر والعقوبات وتقليص الوجود العسكري تخفيف حدة الكراهية ضد أمريكا في المنطقة.

٥- قيام نظام ديمقراطى في العراق يعتبر مثالاً مهماً في المنطقة.

٦- إن زوال نظـــام صـــدام حسين سوف يحرم شبكات الإرهاب من راع ثرى يدفع الأموال لتدريب الإرهابيين ولأسرهم ويعنى أن الأنظمة الأخرى ستتلقى تحذيراً واضحاً بأن دعم الإرهاب لن يكون مقبولاً.

٧- فإنـــه بعد زوال التهديد الإرهابى وتحسن الوضع الأمني يتوقع من حكومة إسرائيل الجديدة أن تساند إنشاء دولة فلسطينية قابلة للحياة، كما يتوقع من الدول العربية أن تساند قيام دولة فلسطينية مسالمة وديمقراطية وأن تعلن بوضوح أنها ستعيش في سلام مع إسرائيل.

إن العيـــب الرئيســـى في سيناريو بوش أنه يقوم على افتراضات تبسيطية ومـــتفائلة جداً وإذا سلمنا بافتراض أن إزاحة النظام العراقي ستكون سهلة دون حـــرب أهلـــية ودون إحراق آبار البترول ودون تقسيم العراق فإن الافتراضات التـــي يقـــوم عليها سيناريو بوش لا يقبلها العرب بل إن بعضها خداعى لتحقيق الأهداف الأمريكية.

فالسيناريو يفترض أن العراق هو التهديد الرئيسى لاستقرار المنطقة وليس التهديد الإسرائيلي كما يرى العرب وكما يبين واقع الحال كما يفترض السيناريو

أن هزيمة صدام حسين ستعنى نهاية المقاومة الفلسطينية أو ستعنى تخلى العرب عن حقوقهم وهذا افتراض غير صحيح.

والأغـــرب أن افتراضـــات بـــوش تتناقض حين تفترض أن النظم العربية الحاكمـــة ستتحالف معه لمكافحة الإرهاب وإسقاط نظام صدام حسين والضغط علـــى الفلسطينيين للتسوية مع إسرائيل وذلك في الوقت الذي يطالب فية بتغيير تلك الأنظمة.

الرأى العام العالمي والحرب

كلمـــا ازدادت العوامـــل التي تحول دون اندلاع الحرب يزداد توتر فريق إدارة جـــورج دبلـــيو بوش، والإلحاح أكثر على الحرب بتحد غير عقلانى لتلك العوامل وقد يسجل التاريخ إذا شنت الحرب (العدوان) ضمن هذه الظروف بأنها الحـــرب الأولى في تاريخ أمريكا يؤخذ فيها بناء على الرغبات فقط وليس على الوقـــائع التـــي لابد منها إلى جانب الرغبات لشن حرب مقنعة وناجحة ويمكن الدفاع عنها، وضمن استراتيجية متوازنة.

فـــي الرابع عشر من فبراير ٢٠٠٣ واجهت الإدارة الأمريكية في مجلس الأمـــن نكســـة خطيرة وبعضهم أسماها صفعة وذلك عندما سقطت حججها أمام تقارير رئيس لجنه التفتيش (أنموفيك) " هانس بليكس " وتقرير محمد البرادعى مديـــر الوكالة الدولية للطاقة النووية إذ ذهب التقريران باتجاه أضعف رغباتها المحمومـــة في إجبار مجلس الأمن على اتخاذ قرار الحرب وعزز ذلك ما لقيه وزير خارجية فرنسا دومينيك دوفيلبان من ترحيب وهو يتحدى أمريكا أن تثبت بدلـــيل واحـــد علاقة العراق بتنظيم القاعدة مؤكداً على ضرورة إعطاء فرصة أطول للمفتشين.

وفـــي الخامس عشر من فبراير ٢٠٠٣ امتلأت مئات العواصم والمدن في العـــالم بعشـــرات الملايين من المتظاهرين غرباً وشرقاً ضد اندلاع الحرب ولم تكن المدن الأمريكية من نيويورك إلى بنسلفانيا إلى لوس أنجلوس بعيدة عن تلك

الموجـــة العالمية التي أضافت عاملاً كبيراً جديداً يفترض أن يسهم في محاصرة فريق إدارة بوش.

ولكـــن في المقابل استجد عاملان يمكن وضعهما في حساب الحرب الأول انضـــمام أســـبانيا وإيطاليا والبرتغال مع أربع دول أوروبية أخرى من معسكر وارسو سابقاً إلى بريطانيا في دعم الموقف الأمريكي وإحداث تصدع في الصف الأوروبي لإضعاف الموقفين الفرنسي والألماني ولكن قبل أن يجف الحبر على بـــيان الثمانـــية المذكورين وإذا بتظاهرات ١٥ فبراير ٢٠٠٣ في لندن ومدريد ورومـــا ولشبونة توقف ذلك التأييد دخلت حكومات تلك البلدان في مأزق بسبب تعارض تأييدها للحرب الأمريكية مع شعوبها، فاستطلاعات الرأى العام في تلك البلدان أشد بلاغة حتى من التظاهرات.

– العامل الثانى جاء من حكومة حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغـــان عندما سمحت تركيا بقدوم آلاف الفنيين والخبراء الأمريكيين لتوسيع القواعـــد وصـــيانتها. ثم دخلت في مفاوضات أشبه بالفضيحة لمقايضة الموقف الـــتركى مـــن الحرب مقابل تعويضات ومشاركة في الغنائم وفي إعادة تشكيل عـــراق ما بعد الحرب ولكن ماظهر من تعثر ولو مؤقت في المفاوضات كشف ضـــعف حكومة حزب العدالة والتنمية أمام قواعدها والرأى العام التركى الذي مـــنحها من الثقة (فتبين أنها في غير محلها) ما لم يمنحه لحزب تركى من قبل فالحكومة التركية كانت في مأزق داخل حزبها الحاكم ومع الرأى العام فقد أثبتت بأنهـــا انتهازية ولامبدئية وبأنها ضعيفة في فهم السياسة وإدارتها وتتحمل بعض مسؤولية في تشجيع الحرب.

ولكن في المحصلة أصبح قرار أمريكا المنفرد بالحرب أشد عزلة من ذى قـــبل وأحق بالمراجعة حتى من جانب إدارة بوش أكثر من أي يوم مضى ولكنه غـــدا لاعتـــبارات (الهيـــبة الأمريكية) والمستقبل الانتخابى لجورج دبليو بوش وفريقه المتطرف أشد إلحاحًا وضرورة وإن كانت هذه الاعتبارات هي أضعف الأســـباب التي تسمح بقرار الحرب بعيداً عن مجلس الأمن فنقطة الضعف هذه

واكبت الإدارة الأمريكية الحالية منذ أن ذهبت إلى الكونجرس ومنه إلى مجلس الأمـــن وقبلت أن تعمل ضمن جدرانه حتى الآن على رغم التهديدات المتواصلة بعدم الحاجة إليه في اتخاذ قرار الحرب.

وأمـــا الســـبب الـــثاني في ضعف تلك الحجة فتعكسه تجربة المفاوضات العسيرة من أجل التوصل إلى القرر ١٤٤١ ثم الإصرار أكثر من أي يوم مضى على الخروج بقرار غالبية تسعه أصوات ولو كان مجهضاً بالفيتو ولايحقق فعلاً اتفاقاً عالمياً من خلال مجلس الأمن على الحرب مما اضطرهم إلى سحب القرار الثاني بعد تأكدهم من عدم حصوله على الأصوات اللازمة لتمريره أو باستخدام حق الاعتراض من فرنسا.

غزو العراق والقانون الدولي

مـــن المعتقد أن إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على شن الحرب على العـــراق لـــم يكن لها من الأسباب المقنعة بل كانت غير منطقية وغير صحيحة والواقـــع أنهـــا تخفي وراءها أسباباً أخرى لا تتفق وصحيح القانون والشرعية الدولية.

والمـــرجح أن أزمة العراق أكبر من تغيير نظام صدام حسين وأخطر من اتهامـــه بامـــتلاك أسلحة التدمير الشامل بل أن الحملة تحمل في طياتها مستقبل النظام العالمي ودور القانون الدولي ومكانته فيه.

إن قيام الولايات المتحدة بحشد جيوشها في الخليج دون تفويض مسبق من الأمم المتحدة وإصرارها على ضرب العراق سواء حدث أو لم يحدث وحصلت علـــى موافقـــة مجلس الأمن يطلق جرس إنذار قوى أيقظ الرأى العالمي وجعله يدرك أن القضية الأهم لم تعد تتعلق ما إذا كان صدام حسين قد قام بخرق مادى لقـــرارات مجلـــس الأمن وارتكب بالتالى عملاً مخالفاً للقانون الدولي وللشرعية الدولـــية يســـتوجب توقـــيع العقاب عليه بمقدار ما أصبحت تتعلق بمدى سلامة الإجـــراءات القانونـــية المطبقة دولياً وبماهية الجهة التي تملك صلاحية تحديد

الخارجيـــن على الشرعية الدولية وتقرير طبيعة ونوعية العقوبات والإجراءات التي يتعين اتخاذها ضدهم.

كما أن هناك إحساساً قوياً بأن الإجراءات القانونية الخاصة بمحاكمة العراق والتي تجرى أمام مسمع من الرأى العام الذي لا تتوافر فيه أبسط قواعد العدالة فمجلـــس الأمـــن الذي يفترض أن يكون بمثابة هيئة المحكمة في قضية العراق أجبر تحت تهديد السلاح الأمريكي على إصدار قرار يقوم على قاعدة أن (عراق صدام) مذنب حتى تثبت براءته القرار رقم ١٤٤١.

والولايـــات المـــتحدة الأمريكية أصرت على أن يتنحى صدام ويقبل النفي طواعية وحكومات العالم تراقب ما يجرى في صمت ينم عن الخوف حينا وعن التواطؤ أحيانا أو في همس باحث عن الثمن.

كمـــا أن المحاكمة كانت تجرى في ظروف يعانى فيها الشعب العراقي من آثـــار حصار ظالم فرض عليه منذ أكثر من اثنى عشر عاماً أوقع في صفوف نســـائه وأطفالـــه ومرضاه من الضحايا ما يمكن اعتباره مذابح جماعية وجرائم ضد الإنسانية.

كذلـــك راهنـــت الولايات المتحدة على سوء سمعة النظام العراقي وعناده المستمر وعلى عجز النظام العربي وانقسامه وعلى حرص الدول الكبرى على عـــدم الدخول في صدام أو احتكاك مباشر معها وبدت واثقة من نجاح مخططها تجاه العراق غير أن قبول النظام العراقي للقرار ١٤٤١ وذهابه في التعاون مع المفتشـــين الدوليين إلى مدى بعيد ساعد ضمن عوامل أخرى كثيرة على إبراز مـــدى التعنت الأمريكي في معالجة الأزمة مما أثار شكوكاً حقيقية حول صحة الاتهامـــات الأمريكية والبريطانية بوجود أسلحة دمار شامل في العراق وبدأت الشكوك تتجه نحو حقيقة النية الأمريكية خصوصاً أن الولايات المتحدة الأمريكية تركـــت حكومـــة إســـرائيل المـــتطرفة تعربد كما تشاء وتسد الطريق على كل محاولات التسوية السلمية.

– لقد بدأ سلوك الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً خلال الشهور الأخيرة أقرب ما يكون إلى سلوك رجل الشرطة الذي يحاول إثبات كفاءته بممارسة شتى أنواع التعذيب والابتزاز للحصول من المعتقل على ما يحتاجه من أدلة أما سلوك الحكومة البريطانية فقد تفوق على الجميع في ولائه وانخراطه تحت ولاء الولايات المتحدة وذهب إلى حد القيام بتزوير الأدلة والقرائن نفسها.

وهكذا تتجلى المفارقة الكبرى في الأزمة الدولية الحالية فقد تبين للرأى العام العالمي بوضوح أن النظام الأمريكي أصبح بالفعل أخطر بكثير على النظام الدولي والشرعية الدولية.

إن النظام الأمريكي الذي لا يشك أحد في أنه نظام مؤسسى وما قد يقدم عليه من تصرفات غير شرعية وهو أمر وارد وليس مستبعدًا خصوصاً من جانب إدارة يمينية متطرفة كالإدارة الحالية قد يتسبب في إحداث أضرار يستحيل علاجها أو يتسبب في خسائر يستحيل تعويضها.

لقد تقدم ستة عشر باحثاً وأستاذ قانون بارزون برسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني "تونى بلير" قالوا فيها "إن مبدأ الرئيس بوش والتحرك الوقائى للدفاع عن النفس ليس له أساس في القانون الدولي". وقال الباحثون القانونيون الذين يمثلون جامعات بريطانية عريقة مثل أوكسفورد وكامبريدج إن "التحرك العسكري ضد العراق سيضر بصلاحيات القانون الدولي" وأكدت الرسالة التي حصلت "الجارديان" على نسخة منها أن القرارات الحالية الصادرة عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن بما فيها القرار الذي صدر بالإجماع في شهر نوفمبر الماضى، ١٤٤١ لا تتضمن تفويضا للحرب. كما أكدت الرسالة على أن التحركات الدبلوماسية الحالية التي حاولت إصدار قرار ثان يبرر الحرب لا تستند لتشريعات القانون الدولي العسكري ضد العراق.

وأى قرار تم استخدام حق النقض ضده لا يمكن أن يستخدم كأرضية للعمل العسكري. وتصريحات رئيس الوزراء من أنه في ظروف خاصة يتم فيها تجاوز الفيتو "إذا لم يكن منطقيا" لا أساس له في القانون الدولي. فقد استخدمت

المملكـــة المـتحدة (بريطانـــيا) حق النقض (الفيتو) في ٣٣ مناسبة منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥. وأي محاولة لتجاوز هذه المناسبات على أرضية أنها لم تكـــن منطقـــية يجب شجبها وعدم قبولها لأنها تعتبر تدخلا بحق بريطانيا الذي يمنحه لها ميثاق الأمم المتحدة في بنده رقم ٢٧.

كمـــا عبر مسؤول أمريكي عن قوله إن أمريكا ليست بحاجة إلى قرار ثان لمهاجمة العراق وكان ستيفن ريدميكر صرح في موسكو " نحن لا نعتبر عملية الحصول على قرار جديد أمرا ضروريا في نظر القانون الدولي.